יד יצחק בן־צבי
המכון לחקר ארץ ישראל ויישובה

יاد يتسحاك بن تسفي

معهد دراسات أرض إسرائيل والاستيطان فيها

القدس: مدينة مقدّسة لأبناء الديانات التوحيديّة

تحليل مصادر وصور تاريخيّة

د. دان غرينبرغ ود. لاڤي شَي

المحرّر: د. أمنون رامون

مقدّمة

القدس مدينة مقدّسة للديانات السماويّة الثلاث - اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام. وفقًا للرواية اليهوديّة، فإنّ قصّة ذبح إسحاق جرت على جبل موريا، الجبل الذي بُني عليه الهيكل لاحقًا. كانت بداية قدسيّة المدينة قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة، حين اختارها الملك داود عاصمة له، ومن بعده بنى فيها ابنه سليمان الهيكل الأوّل. يهود الشتات الذين عادوا من بابل إلى القدس بعد سبعين عامًا على خراب القدس والهيكل الأوّل، بنوا فيها الهيكل الثاني الذي بلغ ذروة فخامته، مع المدينة بأكملها، خلال عهد الملك هيرودس، البنّاء الكبير، قبل فترة ما طويلة من تدمير المدينة والهيكل الثاني في عام 70 ق.م.

تكمن قدسيّة المدينة وفق الرواية المسيحيّة في الأحداث المركزيّة التي وقعت فيها في الأيّام الأخيرة من حياة السيّد المسيح. مكث يسوع في المدينة مع تلامذته، صنع فيها معجزاته، صُلب، ودُفن وقام من بين الأموات في المكان الذي تقف فيه اليوم كنيسة القيامة، وبعد أربعين يومًا صعد إلى السماء من على قمّة جبل الزيتون. منذ العهد البيزنطيّ بُدِء ببناء المباني المسيحيّة الهامّة وعلى رأسها كنيسة القيامة. شكّلت هذه المباني مقصدًا للحجّاج المسيحيّين على مرّ الأجيال.

ووفقًا للرواية الإسلاميّة التي يعود تاريخها إلى القرآن[1] والحديث النبويّ الشريف[2]، زار النبيّ محمّد ﷺ القدس في ليلة الإسراء والمعراج، ومنها نال شرف المعراج إلى السماوات السبع، وفيها التقى بالأنبيّاء الذين سبقوه وصلّى فيهم. منذ بداية العهد الإسلاميّ، بُدء بتشييد المباني الإسلاميّة في القدس، وعلى رأسها المباني الفخمة في ساحات المسجد الأقصى (الحرم الشريف)، وهو المكان الذي انطلق منه النبيّ محمّد ﷺ في معراجه إلى السماء. شكّلت هذه المباني عامل جذب للمسلمين لزيارة المدينة ومحيطها.

بالإضافة إلى ذلك، تمنح الديانات الثلاث المدينة، وخاصّة وادي يهوشافاط الواقع شرق البلدة القديمة، دورًا رئيسًا في أحداث الآخرة، وهو موضوع احتلّ مكانة هامّة في أوصاف الحجّاج. كمدينة مقدّسة جذبت القدس، على مدى قرون، الحجّاج والزوّار من أبناء الديانات الثلاث، الذين خلّفوا لنا أوصافًا حيَّة وصورًا رائعة للمدينة والأماكن المقدّسة الموجودة فيها، إلى جانب التطرّق، بأشكال مختلفة، إلى الحيّاة اليوميّة لأبناء الديانات الثلاث في المدينة المقدّسة.

تداول على الحكم في القدس، إبّان الفترات التي يتناولها هذا الملفّ، أطراف كثيرة- ممالك وحكّام من مختلف الأديان: الرومانيّة، البيزنطيّة - المسيحيّة، الحكم الإسلاميّ في الفترة الأولى، الصليبيّون، فترة الحكم الإسلاميّ المتأخّرة والفترة العثمانيّة. تعاملت كلّ سلطة مع المدينة والحجّاج والزوّار بطريقة مختلفة تبرز لنا، في بعض الأحيان، من بين سطور الوصف.

---

1 سورة الإسراء (17)، الآية 1.

2 الحديث هو ما نُقل عن النبيّ محمّد وهو جزء من السنّة ويشكّل المصدر الثاني للتشريع الإسلاميّ.

تتناول الكرّاسة الموضوعة بين أيديكم هذين الجانبيّن في هذه الأوصاف - النصّيّة والبصريّة التي ستعرض من خلال صور مختارة.

سنعرض في الكرّاسة موضوعتين رئيستين - قدسيّة المدينة ومنظومة العلاقات بين أبناء الديانات الثلاث الذين يعيشون فيها والذين يفدون إليها. بُنيت الكرّاسة بشكلّ تشمل في جزئها الأوّل أوصافًا أوردها حجّاج وزوّار من أبناء الديانات الثلاث، وترتبط بالموضاعات الرئيسة في هذه الكرّاسة بطرق مختلفة. تسبق كلّ وصف من هذه الأوصاف مقدّمة موجزة تتناول الكاتب، عصره والمصدر الذي اقتبسنا الوصف منه. ترافق الوصف أيضًا ملاحظات قصيرة لتسهيل فهمه. وبالإضافة إلى ذلك، ترِد بعض الأوصاف مصحوبة بأسئلة من شأنها أن تساعد المعلمين في بناء تخطيط الدرس، وتساعد تلاميذ المدارس الثانويّة في تطوير تبصّرات حول هذه الأوصاف، وتحديد المواقع والأماكن التي ورَد ذكرها في النصّ ومقارنة التطرقّ إليها وأسمائها لدى أبناء الديانات المختلفة، بل تكوين روابط بين الأوصاف والصور المعروضة في الجزء الثاني من هذه الكرّاسة. تنقسم الأوصاف إلى ثلاثة أقسام - أوصاف إسلاميّة، مسيحيّة ويهوديّة - وفي كلّ قسم منها يكون التقسيم الداخليّ تقسيمًا زمنيًّا.

القسم الأوّل: أوصاف أوردها الحجّاج والزوّار

د. دان غرينبرغر

أ. الزوّار المسلمون

المقدّسيّ: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

شمس الدين أبو عبد الله محمّد أحمد بن أبو بكر البنّاء البشاريّ المعروف بلقبه المقدّسيّ. ولد في القدس لعائلة من أصل فارسيّ سنة 946م. بدأ رحلاته في سنّ مبكّرة بالحجّ إلى مكّة وواصل رحلاته لمدّة استمرّت حوالي عشرين عامًا. سافر ودرس في العديد من البلدان الإسلاميّة (العراق وبلاد فارس)، وأبدى اهتمامًا كبيرًا بالعادات المقدّسة والاقتصاد والجغرافيا. عاش المقدّسيّ في نهاية الفترة الإسلاميّة المبكّرة، وهي السنوات التي أُهملت فيها وتدهورت مكانتها، كما يشير في أقواله.

بيت المقدّس [القدس]: " ليس في مدائن الكور أكبر منها وقصبات كثيرة أصغر منها كاصطخر[3] وقاين[4] والفرما[5] لا شديدة البرد وليس بها حرّ وقلّ ما يقع بها ثلج سألني القاضي أبو القاسم ابن قاضى الحرمين عن الهواء بها فقلت سجسج لا حرّ ولا برد شديد قال هذا صفة الجنّة، بنيانهم حجر لا ترى أحسن منه ولا اتقن من بنائها ولا اعفّ من أهلها ولا أطيب من العيش بها ولا أنظف من أسواقها ولا أكبر من مسجدها ولا أكثر من مشاهدها عنها خطير، وليس لمعنّقتها نظير، وفيها كلّ حاذق وطبيب، واليها قلب كلّ لبيب، ولا تخلو كلّ يوم من غريب [...] واما طيب الهواء فإنه لا سمّ لبردها ولا أذى لحرّها واما الحسن فلا ترى أحسن من بنيانها ولا أنظف منها ولا انزه من مسجدها واما كثرة الخيرات فقد جمع الله تعالى فيها فواكه الاغوار والسهل والجبال والأشياء المتضادّة كالأترج واللوز والرطب والجوز والتين والموز واما الفضل فلأنّها عرضة القيامة ومنها المحشر واليها المنشر[6] [...] لا ان لها عيونًا عدّة يقال ان في التوراة مكتوب بيت المقدّس طشت ذهب مليء عقارب ثم لا ترى اقدر من حمّاماتها ولا أثقل مؤنة قليلة العلماء كثيرة النصارى وفيهم جفا على الرحبة والفنادق ضرائب ثقال على ما يباع فيها رجّالة على الأبواب فلا يمكن أحدا ان يبيع شيئا ممّا يرتفق به الناس الّا بها مع

---

[3] مدينة في فارس كانت المركز الدينيّ للإمبراطوريّة الساسانيّة

[4] مدينة في منطقة خراسان في فارس.

[5] مدينة مصريّة قديمة، كانت في المكان الذي تقع فيه اليوم مدينة بور سعيد في مصر.

[6] تجمّع وبعث الموتى. القصد هو مكان تجمّع الموتى في يوم القيامة ومكان قيامتهم. تسمّى سوريا، **فلسطين** والقدس في الأدب الدينيّ في العصور الوسطى **أرض المحشر والمنشر**، أي مكان تجمّع وبعث الموتى

قلّة يسار [7]***، وليس للمظلوم أنصار، والمستور مهموم والغنىّ محسود، والفقيه مهجور والأديب غير مشهود، لا مجلس نظر ولا تدريس قد غلب عليها النصارى واليهود وخلا المسجد من الجماعات والمجالس.***

http://shamela.ws/browse.php/book-23696#page-166

1. بعد المقدّمة التي لا بُدَّ منها (المقدّسيّ، كما يوحي اسمه، هو من أهل القدس) والتي يُثني فيها على القدس، ينتقل المقدّسيّ إلى النقد. أيّ مجالات النشاط في المدينة ينتقدها المقدّسيّ؟

ناصر خسرو: سفر نامه

حكيم أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني البلخيّ المروزيّ (1088-1003). نشأ في عائلة مُلّاك أراضٍ، الذين عملوا في الإدارة تحت حكم دولة الغزاة. كان شاعرًا وفيلسوفًا ورحّالة من أصل فارسيّ. حفظ القرآن عن ظهر قلب، مرّ في طريقه بالبلاد، ثمّ مكث عامين في القاهرة حيث درس تعاليم الفاطميّة. استغرقت رحلته سبع سنوات (1053-1046). كتب ناصر خسرو كتابه باللغة الفارسيّة بعد عام 1047م، وبعدها تُرجم إلى العربيّة. يعتبر وصفه للقدس إحدى آخر الشهادات على المدينة قبل أن يحتلّها الصليبيون. وعليه، فإنّ هناك أهمّيّة كبيرة لهذا الوصف في فهم صورة الوضع في المدينة قبل أن تطرأ عليها تغيّرات جوهريّة في ظلّ السيطرة الصليبيّة، وهي صورة لا نمتلك أيّ إمكانيّة أخرى لاسترجاعها.

في 5.3.1047 بلغنا بيت المقدّس كان قد مضى على خروجنا من بلدنا سنة شمسية وطوال رحلتنا لم نقر في مكان قط ولا وجدنا راحة كاملة وأهل الشام وأطرافها يسمون بيت المقدّس القدس ويذهب إلى القدس في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب إلى مكة من أهل هذه الولايات فيتوجه إلى الموقف ويضحي ضحية العيد كما هي العادة ويحضر هناك لتأدية السنة وفي بعض السنين أكثر من عشرين ألف شخص في أوائل ذي الحجة [8] ***ومعهم أبناؤهم، ليحتفلوا بختانهم كذلك يأتي لزيارة بيت المقدّس من ديار الروم كثير من النصارى واليهود وذلك لزيارة الكنيسة والكنيس هناك. وهناك كنيسة عظيمة سيأتي وصفها في مكانه وسواد ورساتيق بيت المقدّس جبلية كلها والزراعة وأشجار الزيتون والتين وغيرها تنبت كلها بغير ماء والخيرات بها كثيرة ورخيصة وفيها أرباب عائلات يملك الواحد منهم خمسين ألف من زيت الزيتون. يحفظونها في الآبار والأحواض ويصدرونها إلى أطراف العالم ويقال إنه لا يحدث قحط في بلاد الشام [...].***

هي مدينة مشيدة على قمة الجبل ليس بها ماء غير الأمطار ورساتيقها ذات عيون والمدينة محاطة بسور حصين من الحجر والجص وعليها بوابات حديدية وليس بقربها أشجار قط، فإنّها على رأس صخر وهي مدينة كبير كان بها في ذلك الوقت عشرون ألف رجل وبها أسواق جميلة وأبنية عالية وكلّ أرضها مبلطة بالحجارة وقد سووا الجهات الجبلية والمرتفعات وجعلوها مسطحة بحيث تغسل الأرض كلها وتنظف حين تنزل الأمطار وفي المدينة صناع كثيرون لكلّ جماعة منهم سوق خاصة والجامع شرقي المدينة وسوره هو سورها الشرقي وبعد الجامع سهل كبير مستو يسمى الساهرة يقال إنه سيكون ساحة القيامة والحشر ولهذا يحضر إليه خلق كثيرون من أطراف العالم ويقيمون به حتّى يموتوا فإذا جاء وعد الله كانوا بأرض الميعاد [...].

---

7 سمحت السلطات بمزاولة التجارة فقط داخل أسوار المدينة وذلك للسيطرة على جباية الضرائب من التجّار. كان الهدف من دور حرّاس البوّابات منع أي بيع خارج الأسوار، يكون الهدف منه التهرّب من دفع الضرائب.

8 موعد الحجّ إلى مكّة المكرّمة وعيد الأضحى

سوق القطن في البلدة القديمة

1. يذكر خسرو الحجّ إلى مكّة المكرّمة. ما هي العلاقة، حسب ما أورده: بين الحجّ إلى مكّة وزيارة القدس؟
2. أيّ العادات المتّبعة خلال الحجّ، ورد ذكرها في النصّ المقتبس من ناصر خسرو؟

ابن بطّوطة

رحّالة مسلم من مواليد طنجة في المغرب. خرج في رحلة طويلة زار خلالها العديد من البلدان في العالم، لا سيّما البلدان الإسلاميّة، في السنوات 1356-1357، منتصف العصر المملوكيّ. من بين الأماكن التي زارها كانت القدس. خلّف ابن بطّوطة يوميّات رحّالة مفصّلة وثريّة جدًّا. تعتبر قبّة الصخرة المبنى الأكثر إثارة للإعجاب في القدس الفترة الإسلاميّة المبكّرة، والعديد من الرحّالة وصفوها. في ما يلي وصف ابن بطّوطة لقبّة الصخرة:

هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلًا. وقد توفر حظها من المحاسن، وأخذت من كلّ بديعة بطرف، وهي قائمة على نشزي وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام. ولها أبواب. والدائر بها مفروش بالرخام أيضًا محكم الصنعة، وكذلك داخلها في ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف. وأكثر ذلك مغشى بالذهب، فهي تتلألأ أنوارًا أو تلمع لمعان البرق. يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفي وسط القبة الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار[9]. فإن النبيّ صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء. وهي صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة...

[9] الآثار هي اسم آخر للحديث النبويّ الذي هو ما نُقل عن النبيّ محمّد وليس جزءًا من القرآن.

الحرم الشريف

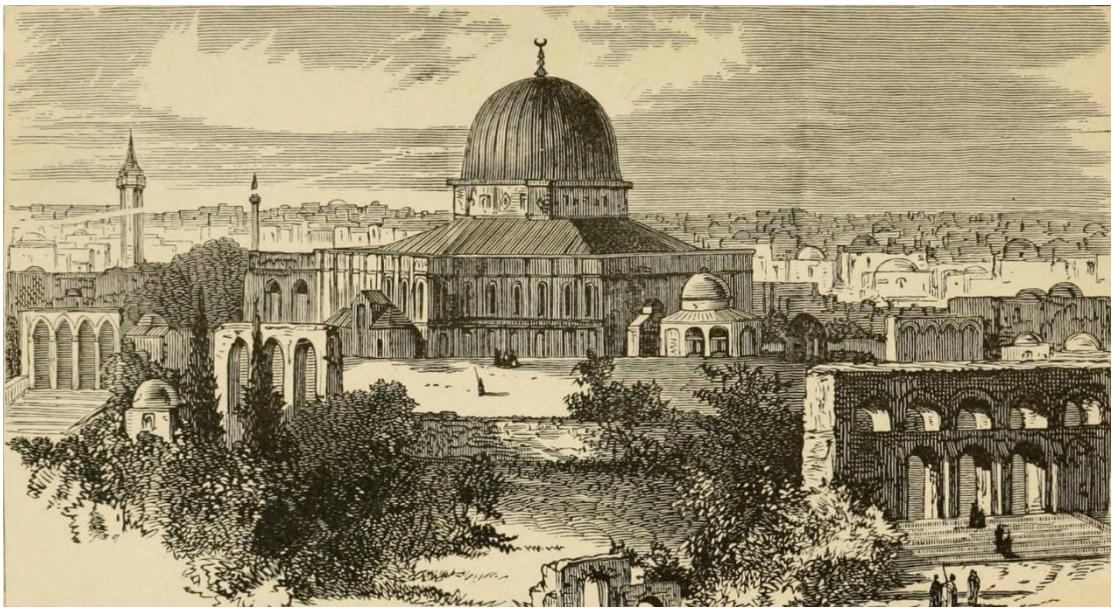

1. تُبرز الأوصاف اليهوديّة وأحيانًا الأوصاف المسيحيّة التي سنوردها لاحقًا، بؤس المدينة، الذي يُصبح أكثر وضوحًا خاصّة على ضوء قدسيّتها، في حين أنّ الأوصاف الإسلاميّة تركّز عادة على جمال المدينة ومواقعها. ما هي، حسب رأيك، أسباب هذا الفرق؟
2. ما هي الرواية الذي يذكرها ابن بطّوطة بالنسبة لمعراج النبيّ محمّد ﷺ إلى السماء، وما مغزاها وأهمّيّتها حسب النطرة الإسلاميّة؟

مجير الدين الحنبليّ: الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل

ولد مجير الدين أبو اليمن عبد الرحمن العليميّ الفخريّ الحنبليّ في القدس عام -1455 (عام 860 هـ) لأسرة من علماء الدين والشريعة الإسلاميّة. بدأ تأليف كتابه عام 1494 وانتهى منه، وفقًا لشهادته، بعد بضعة أشهر. يتألّف الكتاب من جزأين. الجزء الأوّل هو استعراض **تاريخيّ** منذ بدء الخليقة، مرورًا بقصص الكتاب المقدّس بصيغتها الإسلاميّة، ثمّ ينتقل إلى تاريخ الإسلام منذ بزوغ فجره في شبه الجزيرة العربيّة، وانتهاءً بتاريخ الدولة الأيوبيّة التي حكمت البلاد حتّى عام 1239. أمّا الجزء الثاني فيبدأ بوصف الحرم الشريف (جبل الهيكل) والقدس بجميع مواقعها – الينابيع، الجبال، البوّابات، الشوارع، الأسوار، المدارس الدينيّة، المساجد ودور العبادة، الأبراج، النزل (الخانات)، الأحياء، الشوارع، قبور الأولياء، المقابر والأسواق، إضافة إلى وصف موجز لجميع المدن الواقعة في محافظة القدس، بما في ذلك وصف مفصّل لمدينة الخليل. توفّي المؤلّف في عام 1520م [927 هـ] ودفن في القدس بجانب كنيسة الجسمانيّة في وادي النار (كدرون)، حيث ما زال شاهد قبره هناك حتّى اليوم. عاش مجير الدين في نهاية عصر المملوكيّ الذي تميّز ببناء مبانٍ فخمة، خاصّة المباني الدينيّة، التي تناول المؤلّف وصف الكثير منها.

في ما يلي فقرة من وصف جبل الزيتون، مقتبسة من وصف مفصّل جدًّا للقدس والمناطق المحيطة بها.

طور زيتا وَهُوَ الْجَبَل الشَّرْقِي عِنْد بَيت المقدّس وَهُوَ جبل عَظِيم مشرف على الْمَسْجِد الْأَقْصَى [...]. وعَلى رَأس كَنِيسَة من هيلانة وَفِي وَسطهَا قبَّة وَيُقَال انها مصعد عِيسَى " ع "[10] وَقد استهدمت الْكَنِيسَة وَالنَّصَارَى يعظمون هَذَا الْمَكَان تَعْظِيمًا زَائِدا وبطور زيتا شَجَرَة خرنوب عِنْدهَا مَسْجِد لطيف وَتَحْت الْمَسْجِد مغارة مأنوسة ويقصد النَّاس هَذَا الْمَكَان للزيارة وَتسَمى

[10] تقع كنيسة الصعود (أو باسم أدقّ مسجد الصعود) جنوب مستشفى **المقاصد**، على الطريق المؤدّي إلى فندق انتركونتيننتال (اليوم: الأقواس السبعة). الكنيسة اليوم هو نتيجة لترميم قام به المسلمون في الفترة الأيوبيّة لبقايا الكنيسة الصليبيّة. منذ دلك الحين الكنيسة تقع تحت سيطرة المسلمين، وتسمّى أيضًا كنيسة **قدم عيسى**، نسبة إلى حفرة في الصخر، عُرّفت على أنّها بصمة قدم يسوع في أثناء صعوده إلى السماء.

هَذِه الشَّجَرَة خزنوبة الْعشْرَة وَلَا أَدْرِي مَا السَّبَب فِي تَسْمِيَتهَا بذلك وَلَكِن اشْتهر هَذَا الِاسْم عند الناس **وَالله أعلم** بِحَقِيقَة الْحَال وَيُسمى جبل بَيت المقدّس وَهُوَ طور زيتا **جبل الْخمر** - بِفَتْح الْخَاء وَالْمِيم - وَهُوَ كثير الشّجر والظل وَلما فتح الْملك صَلَاح الدّين بَيت المقدّس وقف أَرض طور زيتا على الشَّيْخ الصَّالح ولي الدّين ابي الْعَبَّاس أَحْمد بن أبي بكر بن عبد الله بن دَاوُد الهكاري وعَلى الشَّيْخ الامام الزَّاهِد ابي الْحسن عَليّ بن أَحْمد بن أبي بكر بن عبد الله الهكاري سوية بَينهمَا ثمَّ على ذريتهما تَارِيخ كتاب وَقفه فِي السَّابِع عشر من ذِي الْحجَّة سنة أَربع وَثَمَانِينَ وَخَمْسمِائة (قبر مَرْيَم عَلَيْهَا السَّلَام) وَهُوَ فِي كَنِيسَة فِي دَاخل جبل طور زيتا تسمى **الجيسمانية** بِخَارِج بَاب الأسباط وَهُوَ مَكَان مَشْهُور يَقْصِدهُ النَّاس للزيارة من الْمُسلمين وَالنَّصَارَى وَهَذِه الْكَنِيسَة من بِنَاء هيلانة أم قسطنطين كَمَا تقدم. وروي ان **عمر** رضِي الله عَنهُ لما فتح بَيت المقدّس مر بكنيسة مَرْيَم الَّتِي فِي الادي فصلى بهَا رَكْعَتَيْنِ ثمَّ نَدم لقَوْله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم هَذَا وَاد من اودية جَهَنَّم ثمَّ قَالَ وَمَا كَانَ اغنى **عمر** أَن يُصَلِّي فِي وَاد جَهَنَّم. وبالقرب من قبر مَرْيَم فِي الْوَادي الْمَعْرُوف **بوادي جَهَنَّم** بذيل جبل طور زيتا قبَّة من بِنَاء الرّوم يسميها النَّاس **طرطور فِرْعَوْن** ويرجمونها بالأحجار وبالقرب مِنْهَا بذيل الْجَبَل أَيْضا قبَّة أُخْرَى من الصخر يُقَال لَهَا **كوفية** زَوْجَة فِرْعَوْن واشتهر عِنْد النَّاس ذَلِك وَقد قيل ان الْقبَّة الأولى قبر زكريّا وان الثَّانِيَة قبر **يحيى** عَلَيْهِمَا السَّلَام وَرَأَيْت مَنْقُولًا بِخَط بعض الْعلمَاء ان يحيى وزكريّا عَلَيْهِمَا السَّلَام مدفونان بِبَيْت المقدّس بذيل جبل طور زيتا بمقابر الْأَنْبيَاء وَهُوَ مِمَّا يعضد هَذَا القَوْل وَقيل إِن قبر يحيى وزكريّا بقرية سبسطية من أَرْض نابلس وَقيل بِجَامِع دمشق **وَالله** أعلم.

سفوح جبل الزيتون

1. إلى أيّ ديانة تنتمي معظم المواقع التي يصفها مجير الدين؟
2. يقول المؤلّف إنّ كنيسة الجسمانيّة هي مقصد الحجّاج المسيحيّين والزوّار المسلمين. هل يؤيد أم يعارض هذه الظاهرة؟ علّلوا آراءكم.
3. يذكر المؤلّف موقعًا يسمّى "طرطور فرعون" وهو الموقع المعروف اليوم باسم "ياد أبشالوم"، كما يذكر عادة رجمه بالحجارة. لماذا تطوّرت، حسب رأيك، عادة رجم هذا الموقع بالحجارة؟

حجّاج وزوّار مسيحيّون

الرحّالة من بوردو

الرحلة من بوردو هي أوّل رحلة حجّ موثّقة إلى البلاد. خرج الرحّالة المجهول الهويّة من بوردو وزار البلاد في عام 333. معظم الأوصاف التي أوردها كانت أوصافًا لمواقع مسيحيّة، وبالتالي تسنّى لنا الافتراض بأنّه كان أحد الحجّاج المسيحيّين. في ما يلي

اقتباس قصير من وصف وادي يهوشافاط. كانت زيارة الرحّالة من بوردو في بداية الفترة البيزنطيّة، التي اعتنقت فيها الإمبراطوريّة الرومانيّة الديانة المسيحيّة، الأمر الذي أتاح له القيام بزيارة ذات طابع دينيّ إلى القدس.

"عندما تذهب من القدس إلى البوّابة التي يخرجون منها نحو الشرق لتصعد جبل الزيتون، حيث الوادي المسمّى يهوشافاط، في اليسار، حيث توجد الكروم، الحجر، هناك سلّم يهودا الإسخريوطيّ السيّد المسيح[11]. وفي اليمين شجرة النخيل التي أخذ الصبية من فروعها وفرشوها أمام المسيح قبل قدومه. ليس بعيدًا عن هناك، مسافة مرمى حجر، يقف نصبان تذكاريّان رائعا الجمال. في أحدهما دفن النبيّ إشعياء وهو مصنوع من حجر واحد، وفي الآخر حزقيا ملك اليهود.

أحد القبرين في وادي يهوشفاط اللّذَين يصفهما الرحّالة

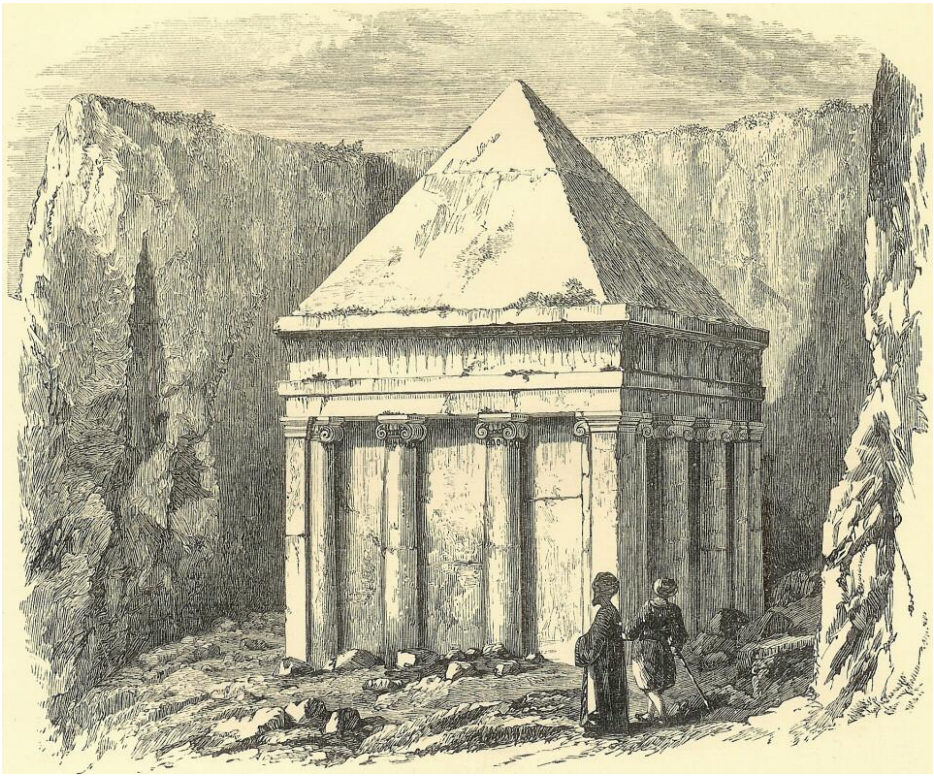

1. ما هو الفرق، من جهة بين تشخيص الرحّالة من بوردو للنصبين التذكاريّين في وادي يهوشافاط، وأوصاف رحّالة آخرين أتوا بعده (باسولا؛ مجير الدين وفيليكس) من جهة أخرى، وهل يتعلّق الاختلاف، حسب رأيك، بدين الكاتب أو الفترة التي عاش فيها؟
2. اذكر بالتفصيل ما هي التقاليد عن يسوع المسيح التي يصفها في هذه المنطقة؟

ويلبراند من أولدنبورغ

أحد الأمور التي شغلت الحجّاج كان الفجوة بين قدسيّة المدينة وحالتها المادية السيّئة. في ما يلي وصف لويلبراند من أولدنبورغ، رجل دين مسيحيّ من أصل ألماني الذي يشغل منصبًا رفيعًا في الكنيسة العليا وزار البلاد في عام 1211. كانت زيارته في الفترة الأيّوبيّة (الفترة الإسلاميّة المتأخّرة) بعد مدّة قصيرة من انتهاء الحكم الصليبيّ الأوّل في المدينة، الأمر الذي يبرز من خلال تذمّره من نظرة السلطان إلى الأماكن المقدّسة.

[11] لقب يسوع.

مع شروق الشمس تراءت لنا المدينة المحبوبة القدس. عندها ملأنا الفرح والإعجاب الكبير جدًّا، بحيث كنّا نظنّ أنّ أعيننا تشاهد أورشليم السماويّة. مع اقترابنا اضطررنا إلى دخول ساحة تقع بالقرب من الأسوار. في هذا المكان كانت كنيسة إستيفانوس القدّيس الشهيد[12] المبارك، الذي بنى المؤمنون منّا كنيسة وأسقفيّة تخليدًا له، وينمكن مشاهدتها حتّى يومنا هذا. في هذا المكان تُجمع الآن حمير السلطان شديد. "**كيف أكدر الذهب تغير الابريز الجيد**" (مراثي إرميا، الأصحاح الرابع). كيف أصبح مكان الكنيسة، مكان الآثار المقدّسة مستنقع وحل؟ وينبغي أن نعرف أنّ هذا المكان هو خارج أسوار المدينة، لأنّه وفقًا لأعمال الرسل: **"أخرجوه خارج المدينة ورجموه"**...

الموتيف الذي يتكرّر في الوصف المسيحيّ هو الانفعال والقدسيّة التي شعر بها الحجّاج عند زيارتهم أقدس مكان للمسيحيّين - كنيسة القيامة، التي يصفها ويلبراند بالكلمات التالية:

هكذا دخلنا إلى هناك برهبة وفرحة تليق بالمكان، وأعجبنا بصدق بالمكان المقدّس حيث كانت قدماه. وسط الكنيسة، المستديرة، دخلنا إلى مبنى القبر المبنيّ على شكلّ صندوق مربّع كبير، وعلى كلّ جانب منه ألواح رخام أبيض أملس، وفيه قد وضعت الصخرة ذاتها التي سُجّي عليها الجسد المقدّس للسيّد، "صار ضحيّة على مذبح الصليب".

1. يذكر المؤلّف القدّيس إستفانوس الشهيد، ما هي الرواية المسيحيّة عن استفانوس الشهيد وأين وقع، حسب الرواية، الحدث ذو الصلة به؟

نيقولا البوغيبونزي

كان نيقولا راهبًا فرنسيسكّانيًّا من مدينة بوغيبونزي في توسكّانا، إيطاليا. كانت رحلته بين عامي 1350-1346، في منتصف العصر المملوكيّ (الفترة الإسلاميّة المتأخّرة)، وحاول أن يصف فقط الأشياء التي رآها. كان كتابه واسع الانتشار، وحتّى نهاية القرن الـ 19، طبع أكثر من ثلاث وستين طبعة. أحد الأوصاف التي تتكرّر عند الحجّاج المسيحيّين هو معجزة سقوط النار من السماء في يوم السبت بعد الجمعة العظيمة في كنيسة القيامة قبل عيد الفصح. وفي ما يلي وصف نيقولا لهذا الحدث.

في يوم الجمعة العظيمة قبل الساعة السادسة تجتمع كلّ الطوائف المسيحيّة التي ذكرتها أعلاه المذكورة الكنيسة المقدّسة للضريح المقدّس. البطاركة والأساقفة وغيرهم بعباءاتهم البيضاء والصلبان بأيديهم، كلّ يلبس حسب عاداته، كلّ فرقة وكلّ ملّة يطوفون حول الكنيسة المقدّسة ويردّدون التراتيل بصوت عالٍ، كلّ مجموعة بلغتها، وكتنوّع اللغات يأتي تنوّع التراتيل... وينظرون إلى الأعلى باتّجاه النافذة ليروا النار المقدّسة. استمر كلّ هذا حوالي ساعتين والمصابيح داخل الضريح كلّها منطفئة، والساراكسينوس[13] يقفون بالباب ولا يسمحون لأيّ مسيحيّ بالدخول. عندها، ومن خلال النافذة المذكورة من قبل، رأيت حمامة تأتي وتهبط على كنيسة القبر المقدّس، ونورًا كبيرًا في الضريح المقدّس ....

[12] الكنيسة المقدّسة لإستيفانوس الذي يعتبر أوّل شهيد في المسيحيّة

[13] لقب أطلقه الرومان على المسلمين

كنيسة القيامة

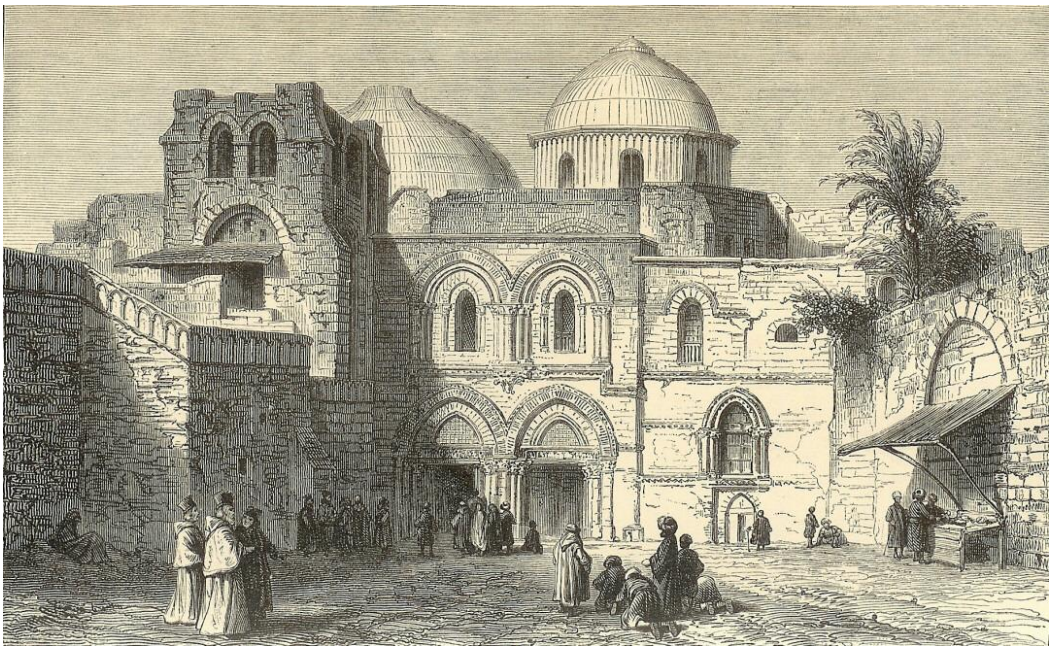

1. نزول النار من السماء هو موتيف نجده في ديانات أخرى أيضًا. هل تعرف قصّة مشابهة في التقليد اليهوديّ؟
2. إلى ماذا ترمز الحمامة في المسيحيّة؟

أنسلم من ادورنو

كان أنسلم من ادورنو نبيلًا ودبلوماسيًّا فلمنكيًّا مسيحيًّا من مدينة بروج في بلجيكا. سافر مع ابنه في سنة 1470، التي كانت سنة عدم استقرار بسبب الفتوحات العثمانيّة في الشرق الأوسط، مع أنّ القدس كانت لا تزال تحت حكم المماليك. حُفظ كتابه كمخطوطة وحيدة منذ القرن الـ 15، ونسخ مرّة أخرى في القرن الـ 19. القدس، وبصفتها مدينة مقدّسة، جذبت إليها المؤمنين من الطوائف المسيحيّة المختلفة، والبعض منها لا يزال موجودًا فيها حتّى اليوم. في ما يلي وصف لهذه المجتمعات ومواقعها في كنيسة القيامة، الكنيسة الأكثر أهمّيّة في الأرض المقدّسة.

يعيش في القدس ويدفع الضرائب مسيحيّون من ثماني طوائف مختلفة مع أسرهم وزوجاتهم، أبنائهم وبناتهم. لكلّ طائفة منها مكان ثابت في هذه الكنيسة المقدّسة، واثنين أو ثلاثة من كلّ طائفة موجودون هناك على الدوام ويجرون الطقوس اليوميّة في الثناء على الله وفقًا لعاداتهم ... كانت هناك اليونانيّون، الذين كان البعض منهم من الرهبان والبعض الآخر ليسوا رهبانًا ... وكان هناك الهنود الذين يسمّون أبسينيّين، ومكانهم كان جنوبيّ موقع الضريح... كان هناك اليعقوبيّون ومكانهم خلف الضريح أو نصب الرب .... كان هناك الأرمن أيضًا وموقعهم في تلّ الجلجثة، هؤلاء كان مكانهم في الكنيسة أجمل وأقدس مكان. كان أحدهم يقرأ وحده من كتاب باللغة الأرمنية قصّة الآلام وكلّ قصّة حياة الربّ بصوت عالٍ، والجميع يستمع بتركيز كبير بحيث أنّ بعضهم، من الرجال والنساء، ينفجرون بالبكاء والصراخ بصوت عالٍ. كان هناك الجورجيّون ومكانهم تحت الجلجلثة. كما كان هناك مكان للسريان في طرف الكنيسة في الجزء الغربيّ. وكانت هناك النساطرة، وهم الطائفة الأصغر. كان هناك اللاتين أيضًا الذين يُسمّون "الفرانكيّون"، أي الفرنسيسكّان، ونحن، ونحن وحدنا، نؤمن الإيمان الصحيح والحقّ وكلّ البقيّة هم من حادوا عن الطريق الصحيح وانشقّوا عن التيّار المركزيّ ويؤمنون بأمور خاطئة ضدّ الكنيسة الرومانية.

1. يذكر المؤلّف العديد من الطوائف المسيحيّة. صف ثلاث من هذه الجماعات الموجودة حاليًّا في القدس ومواقع تابعة لها.
2. يسمّي المؤلّف هذه الطوائف جماعات "منشقّة". ما هو الحدث المعروف باسم الانشقاق العظيم في المسيحيّة؟

فيليكس فابري

كان فيليكس فابري ابنًا لعائلة عريقة من زيوريخ (سويسرا اليوم). خدم في دير في بازل، ثمّ في أولم (Ulm) في ألمانيا. كان يكثر من الخروج في رحلات في العالم، زار خلالها الأرض المقدّسة مرتين. في المرّة الأولى كانت زيارة قصيرة في عام 1480 والمرة الثانية في عام 1483. خلال زيارته الثانية كتب يوميات أورد فيها وصفًا تفصيليًّا دقيقًا للبلاد وسكّانها. زار فيليكس البلاد في نهاية الفترة المملوكيّة، وقد أوردنا سابقِا أوصافِا أخرى أوردها حجّاج مسيحيّون خلال هذه الفترة. وكانت هذه الفترة ملائمة لزيارات الحجّاج المسيحيّين واليهود، على الرغم من الحكم الإسلاميّ، وخلافًا لفترات أخرى، مثل الفترة الصليبيّة التي قلّ فيها عدد الحجّاج.

وادي يهوشافاط: الآن كما يعتقد الجميع، وكما تعلّموا، ستجتمع جميع قبائل الأرض في هذا الوادي. لذلك سيسأل الناس هؤلاء الذين زاروا الأراضي المقدّسة إلى أيّ مدًى كبير هو هذا الوادي، وهل هو واسع إلى حدّ يستطيع جميع البشر الوقوف فيه يوم القيامة. لا يهتمّ عامّة الناس بأيّ شيء آخر، بل إنّهم متعطّشون لسماع المعلومات عن مساحة وادي يهوشفاط. وقد حدث أحيانًا، ومازال يحدث، أنّ بعض الحجّاج يضعون كومات من الحجارة في هذا الوادي رغبة منهم في ضمان مكان لأنفسهم قبل يوم القيامة. عندما يسألك ناس كهؤلاء عن مساحة هذا الوادي، فأنت تضطرّ، من منطلق الأمانة، إلى القول إنّ الوادي ليس واسعًا إلى هذا الحدّ، وإنّه، لضيق مساحته، بالكاد يتسّع حتّى لشعب واحد. لكن، في يوم القيامة سيكون شكلّ هذا الوادي مختلفًا، فضلًا عن أنّ شكلّ العالم سيكون مختلفًا... هكذا يجب على الأنسان أن يجيبهم. وبالفعل هذه إجابة أفضل، لأن هؤلاء الناس يعيشون حياتهم بصدق كما ينبغي لهم، وسيكون لهم على الأرض متّسع توفّره لهم ملائكتهم ليقفوا فيه من دون عائق. أمّا الأشرار والفاسدون، فستكون لهم أماكن مزدحمة وبائسة للغاية. ولذلك، لا حاجة لأن تضمن لنفسك هناك مكانًا مسبّقًا، فعندما يرى ملاكك أنّك كنت شخصًا جيّدًا، سيوفّر لك مكانًا رائعًا ويحرص على ألّا تكون في أيّ مكان آخر، إلّا في مكان مشرّف.

1. فيليكس مثل الحاخام موشيه باسولا ومجير الدين، يتناول في كتاباته وادي يهوشافاط ويوم القيامة. ما هي المشكلة التي يواجهها، وما الحلّ الذي يقترحه؟
2. هل يؤمن فيليكس، حسب رأيك، بهذه الإجابة، أم أنّه يستخدمها فقط كوسيلة لإرضاء السائلين؟
3. قارن بين موقفه من البعث وموقف خسرو. تطرّق إلى أوجه الشبه وأوجه الاختلاف؟

أوصاف أوردها زوّار يهود

بنيامين التطيليّ

بنيامين التطيليّ هو أحد الزوّار الأكثر شهرة في الأرض المقدّسة في العصور الوسطى. خرج بنيامين من مدينة تطيلة في إسبانيا في عام 1165 في رحلة طويلة استمرّت سبع سنوات في أوروبا والشرق الأوسط وشمال أفريقيا. يتناول في أوصافه المواقع الجغرافية وأماكن مختلفة، ويصف عدد اليهود في كلّ مكان والمهن التي عملوا بها. كرّس للقدس، التي كانت تحت حكم مسيحيّ صليبيّ منذ عام 1099، وصفًا مفصّلًا. في ما يلي اقتباس يتناول جبل الهيكل (الحرم الشريف)، حائط المبكى ومصادر المياه في القدس.

وهناك طينفولي دوميني[14] الذي يقوم مكان الهيكل، وبنى عليه عمر بن الخطاب[15] قبة كبيرة وجميلة جدًّا وهناك لا يدخل غير اليهود أيّ تمثال أو صورة، بل فقط يأتون للصلاة. قبل هذا المكان هناك حائط غربيّ وهو أحد جدران قدس الأقداس، ويسمّونه باب الرحمة[16]، إلى هناك يأتي كلّ اليهود للصلاة أمام الحائط...
يخرج الإنسان من باب يهوشفاط إلى وادي يهوشافاط، وهو صحراء الشعوب وفيه ضريح أبشالوم وقبر عوزياهو الملك. هناك أيضًا نبع كبير، مياه عين سلوان في وادي النار، وعلى النبع بناء ضخم من عهد أجدَّادنا، ولا يوجد هناك إلّا القليل من الماء. يشرب معظم الناس في القدس من مياه الأمطار التي يجمعونها في آبار في بيوتهم...

1. المسلمون هم الذين بنوا المباني الرائعة على جبل الهيكل (الحرم الشريف) التي شاهدها بنيامين. كيف يصف بنيامين موقف الصليبيّين من جبل الهيكل (الحرم الشريف)؟
2. ما هو مصدر المياه الرئيسي لسكّان القدس وفقًا للوصف الوارد في الاقتباس، وهل يُستخدم هذا المصدر اليوم أيضًا؟

الحاخام موشيه بن نحمان

كان الحاخام موشيه بن نحمان (رامبان) أحد أعظم حكماء اليهود في العصور الوسطى. ولد وعاش في إسبانيا حيث اشتهر كمفسّر للتوراة، صوفيّ ومفتٍ يهوديّ. مثل الجانب اليهوديّ في نزاعات مع المسيحيّين ونتيجة لأحد النقاشات، هاجر في أخر أيّامه إلى إسرائيل. بدءًا من عام 1260، منذ بداية الفترة المملوكيّة في القدس، والتي تميّزت بالأعداد الكبيرة للحجّاج والزوّار من أبناء الديانات الثلاث الذين أتوا إلى القدس. زار رامبان القدس في عام 1267، في مطلع العصر المملوكيّ، واستقر للعيش فيها. في ما يلي وصف لإحدى أسوأ الحالات في تاريخ المدينة، من وجهة نظر اليهود، ولكن أيضًا بداية تجدّدها عندما ساعد في بناء كنيس المدينة.

ماذا أروي لكم عن حال البلاد، لقد سادها الإهمال وطغى عليها الهجران، وما يميّزها هو أنّه كلّما زادت قدسيّة المكان، زاد خرابه، فالقدس هي الأكثر خرابًا في البلاد، وأرض يهودا أكثر خرابًا من أرض الجليل. هناك بنوا كنيسًا وبدأوا يصلّون فيه، لأنّ الكثيرين يأتون إلى القدس من دمشق وتسوبا [17] وأرض مصر، وجميع مناطق البلاد لرؤية الهيكل والبكاء عليه. وعسى أنّ من وهبني رؤية القدس خربة، يهبني رؤيتها عامرة صالحة.

1. ما هو وضع القدس ومنطقة يهودا مقارنة بمناطق أخرى في البلاد؟ ما هي الظروف االتاريخية التي تقف من وراء هذا الوصف للرامبان؟
2. يصف رامبان عادة الزيارة الجماعيّة إلى القدس. كان هذا الحدث أحد أهم الأحداث في سياق القدس في القرون الوسطى. متى جرت وماذا كان طابعها؟

مشولام من ڤولطرا

كان مشولام من ڤولطرا مصرفيًّا وتاجرًا يهوديّا من مدينة فلورنسا في إيطاليا. كانت رحلته في عام 1481 بعد أن كان قد نذر ذلك عندما كان يمرّ بأزمة. على عكس العديد من الحجّاج الآخرين، فقد أثار اهتمام مشولام الكثير من في الأمور المادّيّة أيضًا، مثل: الحيّاة اليوميّة، الظواهر الطبيعيّة، الأحداث السياسيّة والعادات الشعبيّة. كانت زيارته إلى القدس في أواخر الفترة

---

[14] الاسم المسيحيّ - الصليبيّ لقبّة الصخرة.

[15] الخليفة الراشديّ الثاني الذي فتح المنطقة كجزء من الفتح الإسلاميّ في القرن السابع الميلاديّ. وفقًا لما هو متعارف عليه حاليًّا في الأبحاث، بل وموثّق في نقش في المبنى نفسه، بنيت قبة الصخرة في فترة لاحقة، في فترة الخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان في عام 691م. مثير للاهتمام ربط هذا المبنى بعمر، وهو ما كان شائعًا في الفترة التي زار فيها التطيليّ القدس، لا يزال قائمًا حتّى اليوم في التسمية المتعارف عليها "مسجد عمر".

[16] تبين أنّه ليس حائط المبكى المعروف، وربّما أنّه ليس في جهة الغرب، لأنّ بنيامين يربطه بباب الرحمة في الجهة الشرقيّة. على ما يبدو أن المصطلح "الحائط الغربيّ" الذي يُذكر في المدراش "لم تترك الشخيناه الحائط الغربيّ"، تمّ تحديده في فترة على أنّه "باب الرحمة" في الشرق. كذلك الزائر الإسبانيّ ابن القرن الـ 14 إسحاق حيلو يعرّف الحائط الغربيّ على أنّه باب الرحمة، وهذا هو الرسم في المدرجة التي تضمّ الأماكن المقدّسة.

[17] مدينة حلب في سوريا.

المملوكيّة التي تميّزت من جهة بروعة البناء في القدس، لا سيّما المباني الدينيّة، وبإهمال الحيّاة اليومية من جهة أخرى. لهذه الخصائص انعكاس في الوصف الذي كتبه مشولام.

مباني القدس جميلة جدًّا وفيها الحجارة أكبر بكثير من الحجارة التي رأيتها في أيّ مكان آخر، والبلاد هي بلاد اللبن والعسل، مع أنّها في الجبال ويسودها الخراب والإهمال. يتوفّر فيها كلّ شيء وبثمن رخيص، فاكهتها فاخرة وجميلة جدًّا. وفيها أربعة أنواع العسل: عسل العنب وهو قاسٍ كالصخر وفاخر جدًّا، عسل الخرّوب هو جيّد جدًّا، عسل التمر. والحنطة والشعير وغيرها من أنواع الفواكه الغاية في الجودة والجمال ... وهم، المسلمون، وكذلك اليهود كالخنازير في تناول الطعام لأنّهم جميعًا يتناولون الطعام بأصابعهم من دون مفرش كما يفعلون في مصر، لكنّ ثيابهم نظيفة.

1 . ينتقد مشولام الأوروبّيّ عادات الأكلّ المحلّيّة المشتركة لكلّ من المسلمين واليهود. هل تعلم في أيّامنا أيضًا عن عادات أكلّ مختلفة في حضارات وثقافات مختلفة؟

الحاخام عوڤاديا من بيرتينورو

ولد الحاخام عوڤاديا في إيطاليا في منتصف القرن الـ15، وعمل حاخامًا ومصرفيًّا. في عام 1485، في نهاية الفترة المملوكيّة، سافر إلى الأرض المقدّسة. استقرّ في القدس وأصبح أحد رؤساء الطائفة المحلّيّة. كتب تفسيرًا للمشناه، أصبح أحد التفسيرات الأكثر شهرة لهذا الكتاب الهامّ، الذي استخدم فيه كلمات عربية تعرّف إليها في الأرض المقدّسة. كتب رسائل فيها معلومات عن البلاد في فترته. في الاقتباس التالي يتطرّق الحاخام عوڤاديا إلى الطوائف المسيحيّة التي سكنت في القدس ويقارنها بالطوائف اليهوديّة.

هناك خمس معتقدات يشترك فيها المسيحيّون الذين يعيشون اليوم في القدس، وهم: والرومان (الكاثوليك) واليونانيّون (الأرثوذكسي) اليعقوبيّون (السريان) العمالقة (الأرمن) الأحباش (الإثيوبيّون) وهم أبناء بريشتي يواني[18]، وكلّ منهم ينفي معتقدات الآخر، كما يفعل حاخامات السامريّين والقرّائين مع الحاخامات الآخرين، ولكلّ طائفة غرفة منفصلة في كنيسة القيامة، التي هي منصّة كبيرة في داخلها برج وشخصان من كلّ طائفة يجلسان هناك دائمًا لا يغادرانها.

1. يذكر الحاخام عوڤاديا خمس طوائف مسيحيّة وثلاث يهوديّة. اكتب بالتفصيل عن اثنتين من الطوائف المسيحيّة وطائفة يهوديّة واحدة، وخاصّة عن نقاط الخلاف بينها.
2. قارن وصف أنسلم من ادورنو الطوائف المسيحيّة بوصف الحاخام ر. عوڤاديا من برطنورا للطوائف المسيحيّة.

تلميذ الحاخام عوڤاديا من بيرتينورو

هذا الوصف هو جزء من رسالة كتبها شابّ جاء إلى إيطاليا للدراسة في المعهد الديني للحاخام عوڤاديا، وجاء إلى البلاد في عام 1495، واسمه غير معروف لنا. يتطرّق الكاتب في وصفه إلى العلاقة المعقّدة بين المسلمين (المماليك) الذين هم في السلطة واليهود والمسحيّين. تعامل الحكم الإسلاميّ مع المسيحيّين واليهود على أنّهم أهل ذمّة يتمتّعون ببعض الحماية.

وهذا أمر عامّ، فإنّ قضاءً واحد لليهود والأغلاف[19] والإمشلمين، ولكن لا يكرهون اليهود، أو يشتمونا كما في بلادكم. هناك باب للمدينة قريب من مكان وجود اليهود الفقراء. مفتاح هذا الباب يكون بحيازة اليهود. والحقيقة هي أنّ على اليهوديّ أن يكون خاضعًا للمشلم ويذلّ نفسه ويخضعها، وليس له أن يُصدر الأحكام إذا كان غنيًّا لئلّا يُفترى عليه بأشياء تُسبّب مصادرة ممتلكاته.

باب النبيّ داوود بالقرب من الحيّ اليهوديّ

[18] نسبة إلى الكاهن يوحنّا، وهم لقب الإمبراطور الأثيوبيّ كما يذكره الأوروبيّون.

19 لقب يُطلق على المسيحيّين.

1. يصف المؤلّف العلاقة بين المسلمين واليهود والمسيحيّين بصورة معقّدة. ما هي النقاط الإيجابيّة التي وصفها وما هي النقاط السلبيّة؟
2. وصل الكاتب من دولة مسيحيّة، وحسب وصفه، فإنّ وضع اليهود هناك أسوأ. هل تعتقد أنّ هناك علاقة بين الدين المهيمن على الدولة ومعاملة اليهود، ولماذا؟

الحاخام موشيه باسولا – كتاب الرحلات

ولد الحاخام موشيه باسولا (1480-1560) في إيطاليا وعمل في الحاخاميّة في مدينة بيزارو. في عام 1521 قام برحلة إلى الأرض المقدّسة وتجوّل فيها مدّة عام ونصف. وصف رحلته في كتاب بعنوان "كتاب الرحلات"، الذي حظي بشعبيّة كبيرة، وطبع عدّة مرّات. في السنوات الأخيرة من حياته هاجر الحاخام موشيه باسولا إلى البلاد المقدّسة وعاش في صفد. أحصى الحاخام موشيه عدد اليهود في كلّ مكان مرّ منه، ووصف المهن التي عملوا بها والمواقع الهامّة بالنسبة لهم. بالإضافة إلى ذلك يتطرّق إلى السكّان غير اليهود أيضًا - المسلمون والمسيحيّون. في عام 1516 بدأ العهد العثمانيّ في القدس واستمرّ حوالي أربعة قرون، في مطلع هذه الفترة كانت زيارة الحاخام موشيه للبلاد.

تقع القدس على جبل ويقابلها جبل الزيتون، بينهما وادٍ ضيّق هو وادي يهوشافاط. نزلت إليه وفي أحد أطرافه ثقب كبير وهناك يُشاهد ما يُشبه الكهف، ويقولون إنّ باب جهنّم سيفتح هناك في اليوم الذي يأتي فيه يأجوج ومأجوج. أسفل ذلك تقع مقابر إسرائيل في سفوح جبل الزيتون الممتلئ بها وبعضها في سفوح جبل القدس. تحتها بنصف ميل هناك مياه عين سلوان وهناك في السهل العديد من الحدائق الجميلة التي تُروى بتلك المياه التي تخرج من جبل القدس، ولا يُعرف منبعها، يقولون إنها جاءت من الهيكل... في أسفل جبل الزيتون شاهدت مغارة النبيّ زكريّا الجميلة جدًّا، كلّها محفورة في الصخر يحيطها الجبل مبنيّة من 12 عمودًا كلّ منها قطعة واحدة مدبّب في رأسه. بجانبها بئر اسمها بئر "بغتان" يُقال إنّ بنات إسرائيل ألقين أنفسهنّ فيها عند خراب الهيكل. وهناك مغارتين جميلتين واحدة فيها تجاويف للدفن والأخرى فيها رفوف. وتحتها برج واسع مدبب الرأس هو ضريح أبشالوم الذي يرد ذكره في سفر صموئيل. وفي الأعلى بالقرب من قمة الجبل مغارة النبيّ حجي. هناك كهوف الكبيرة من حيث الطول. وفي أعلى المغارات مغارة النبيّ حجي عليه السلام وتحتها مغارات تلاميذه وآخرين غيرهم إلى جانب. على قمة أحد جبل الزيتون هناك بيت كبير وجميل هناك قبر النبيّة خلدة في ضريح من الرخام. هناك أيضًا يجب الدفع ثلاثة دراهم (دريمي[20]) للحارس المسلم وتقديم الزيت لأنّ هناك شموع مشتعلة على الدوام. ومن نفس الجهة، أي من الشرق، للهيكل بابان من الحديد مغلقان قسم منهما مغروس في الأرض، ويسمّيان باب الرحمة ويقولون إنه من أحد البابين كان يدخل العرسان ومن الآخر كان يدخل ذوي المتوفّين. قريبًا من الهيكل، في جهة الجنوب هناك بناية يسمّونها مدراش

[20] اسم عملة.

شلومو. خارج القدس باتّجاه الجنوب هو جبل صهيون، وقال لي رئيس الطائفة اليهوديّة أطال الله عمره ورعاه، أنّ في القدس أيضًا مكان اليهود من جبل صهيون حتّى جوار الهيكل والرأي يميل إلى القبول بذلك وهذا هو تفسير الآية "جبل صهيون فرح أقاصي الشمال". في جبل صهيون مكان للقساوسة يشبه الكونڤيتي في إيطاليا[21]، يتصّل به بيت مغلق بابه من حديد، يقولون إنّ داود وسليمان عليهما السلام مدفونان فيه. وفي هذين المكانين لا يسمح المسلمون بدخول أي إنسان إطلاقًا. في الجهة نفسها هناك مبنى قويّ وبرج واسع ومنخفض يسمّونه برج داود (قلعة داود). وإلى الغرب من قبر يسوع هناك كنيستان الواحدة مقابل الأخرى وسوق يمر بينهما وباحة صغيرة أمام إحدى الكنيستين.

للقدس ستّة أبواب تُغلق ليلًا: أحدها هو باب الأسباط، من هناك كانت تدخل الأسباط عند قدومها للحجّ، وآخر يسمّى باب العمود، وبجانبه مغارة تسدكياهو الذي راح الى اريحا . قال لي الكثير من اليهود إنهم ساروا فيها مسافة ميل وأنّ سقفها مرتفع يسير الفارس في على ظهر جواده رافعًا رمحه. باب آخر هو باب القطن هناك ورش القطن. وثلاثة أبواب من جهة جبل صهيون، أحدها يحرسه يهوديّ بفتحه ويغلقه. في القدس كنيس واحد فقط، وهو جميل وفيه أربعة أعمدة... وداخل المبنى غرفة فيها كتب توراة في لفائف، يفوق عددها الستّين كتابًا. يصلّون باتّجاه الشرق وهي باتّجاه الهيكل، ولا يدخل الضوء الكنيس إلّا من الباب الواقع في الجهة الغربيّة وفوقة نافذة صغيرة، وحتّى خلال النهار يستخدمون أنوار الشموع التي يضيئونها في كلّ جوانبه. جمهور المصلّين من فئات مختلفة، فهناك 15 أسرة أشكنازيّة، وسفارديم كثير ومستعربون من سكّان البلاد منذ القدم، والغربيّون هم من جاء من بلاد البرابرة، ويبلغ عددهم جميعًا حوالي 300 ربّ أسرة...

باب الرحمة

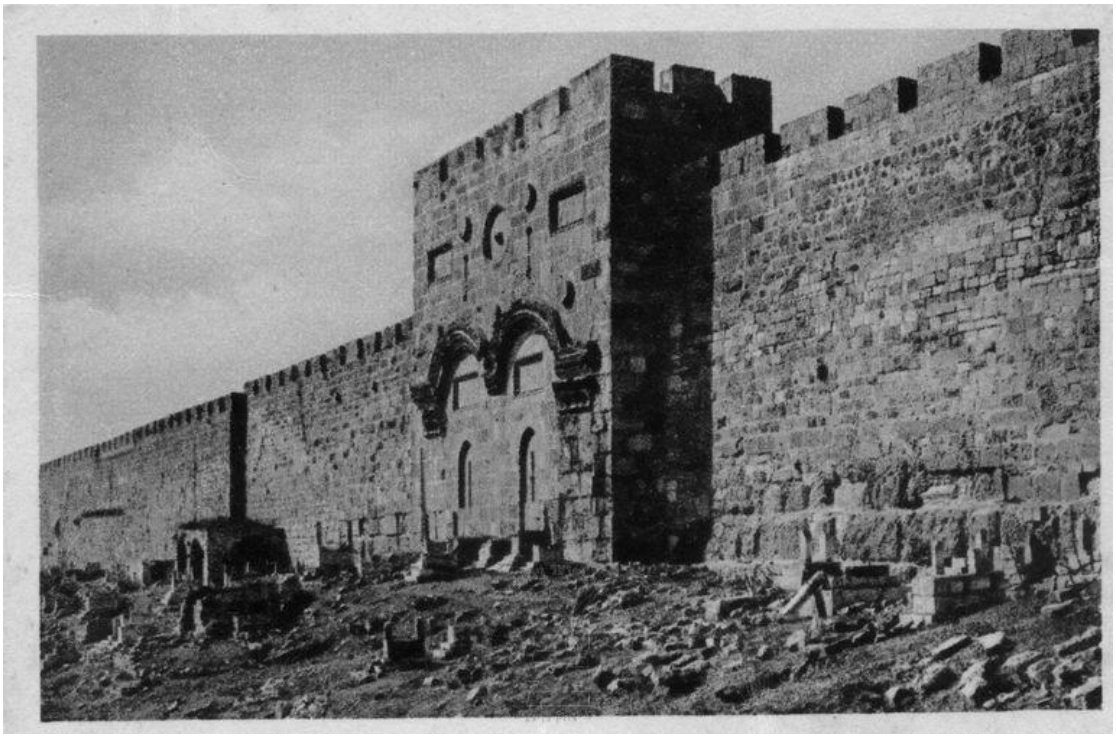

1. عدّد ثلاث مناطق يذكرها الحاخام موشيه في القدس ومحيطها. في أيّ منطقة يقع كلّ من مغارة زكريّا وضريح أبشالوم؟
2. للقدس دور هامّ في وصف يوم القيامة في مختلف الديانات. ما هي الرواية ذات الصلة بيوم القيامة التي يذكرها المؤلّف؟

[21] الأديرة (convente) في إيطاليا.

3. أين يقع الحيّ اليهوديّ وفقًا للوصف، وهل يقع في المكان نفسه الذي يقع فيه الحيّ اليهوديّ اليوم؟
4. أين يوجد المسيحيّون في القدس وفقًا للوصف، وهل هناك اليوم أيضًا وجود مسيحيّ في المكان نفسه؟
5. أيّ البوّابات في سور المدينة يذكر الكاتب، وهل بإمكانك التعرّف إليها اليوم؟
6. يذكر الحاخام موشيه عدّة فئات يهوديّة، بما في ذلك اليهود "المستعربين" واليهود الغربيّين. ما هو أصل هذه الفئات؟
7. أيّ من المواقع يرد وصفها لدى مجير الدين ولدى الحاخام موشيه باسولا، وماذا تسمّى في كلّ وصف؟
8. مجير الدين والحاخام باسولا يحدّدان موقع قبر زكريّا. هل يقصدان الشخص نفسه؟

أسئلة عامّة:

1. هناك قضايا أثارت اهتمام أبناء ديانة معيّنة فقط، مثل: وصف المباني المقدّسة لأبناء هذه الديانة. ولكن هناك قضايا أثارت اهتمام أبناء جميع الديانات، مثل: تكاليف المعيشة، مصادر المياه، عادات الأكل، والطقس، والعلاقات بين الناس من مختلف الأديان وغيرها. قارن بين أنواع التطرّق المختلفة إلى هذه القضايا.
2. أيّ المواقع يختار أبناء كلّ دين التركيز عليها؟ وأيّ من هذه المواقع يرِد وصفها عند أبناء أكثر من ديانة؟
3. رأينا أوصافًا أوردها حجّاج من أبناء الديانات الأخرى في فترة قريبة من الفترة التي كتب فيها المقدّسيّ. هل لديهم أيضًا انتقادات مماثلة؟

الجزء الثاني: تحليل صور تاريخيّة

د. لاڤي شاي

كما سبق وقلنا، في هذه الكرّاسة جزآن. يتناول الجزء الأوّل أوصاف القدس ومواقعها وفقًا للحجّاج والسيّاح والباحثين في العصور الوسطى وفي العصر الحديث، أبناء الديانات الثلاث وتحليلها. أمّا الجزء الثاني الذي يرد لاحقًا، فإنّه يتناول المناظر المقدّسيّة التي تنعكس من خلال الصور التاريخيّة.

سنعرض في هذا القسم طرقًا مختلفة يمكن من خلالها دراسة وتحليل الصور، والتي من شأنها أن تساعد المعلم والتلميذ في دراسة الصور في هذا الكتيّب. بعد ذلك سنعرض صورًا فوتوغرافيّة يرافقها شرح أوّليّ وإحالات إلى كتابات ومؤلّفات أخرى ذات صلة، ونشجّع المعلّمين والتلاميذ على دراسة وتحليل بعض الصور الفوتوغرافيّة، فهم الروايات ووجهات النظر المختلفة وإبداء الرأي أو النقد بالنسبة للمواقع والظواهر التي تظهر في الصور.

بما أنّ الصور هي ظاهرة حديثة، يعود تاريخها إلى منتصف القرن الـ 19، فإنّ تناول هذا الموضوع سيركّز بطبيعته على المئة وخمسين عامًا الأخيرة، ولن نعود إلى العصور الوسطى التي سنتناولها بالتفصيل في الفصل النصّيّ.

سوف نركّز على موضوعتين رئيستين في الصور وهما:

أ- المدينة المقدّسة، أو قدسيّة المدينة والحيّاة الدينيّة التي تدور حول هذا المحور.

ب- العيش معًا في مدينة متنوعة مقدّسة لثلاث ديانات ومجتمعات محلّيّة. (كما سنتناول التأثيرات المتبادلة والانتقائيّة الحضاريّة في المدينة).

سنحاول من خلال الصور معرفة أين كانت هناك نقاط تماس واتّصال بين سكّان المدينة أبناء الطوائف الدينيّة المختلفة، وأين بقيت الاختلافات الثقافيّة التي يعود أصلها إلى المعتقدات الدينيّة المختلفة. ولكن علينا أن نتذكر أن تشكيلة الصور عن القدس ضخمة، وهناك جوانب وقضايا لن نتناولها في إطار هذا الكتيب.

الهدف من هذا القسم الذي يتناول الصور هو هدف مزدوج:

أ. عرض تعقيد الحيّاة الحضرية، وحقيقة أنه على مدار سنوات عديدة أجرى سكّان المدينة حوارًا مع بعضهم البعض في مجموعة متنوعة من المجالات والسبل، على الرغم من الخلافات بينهم في الرأي والمعتقدات، تناول الحوار مواضيع مختلفة، مثل: الاقتصاد، الحيّاة الاجتماعيّة، الثقافة والروحانيّات المشتركة، الهندسة المعماريّة، السياسة، وغيرها.

ب. إتاحة فرصة للتلاميذ لإجراء نقاش مستفيض وتحليل منهجيّ لمصادر بصريّة، التي هي مصدر ذو أهمّيّة إلى جانب المصادر المكتوبة، ممّا يثري مناقشة المصادر التاريخيّة وتناولها.

وبالإضافة إلى ذلك، يتيح البحث للتلاميذ دراسة الصور لإنتاج قصص/ روايات مختلفة حسب الصور التي اختاروها. من ناحية تعليميّة، فإنّه إلى جانب زيادة المعرفة في القضايا التاريخيّة، هناك إسهام في تنمية التفكير الذاتيّ والدمج بين مصادر مختلفة، وليس مجرّد تلقين الموادّ المتوفّرة.

الدمج والحسّ النقديّ سيتوفّران أيضًا من خلال مقارنة المصادر الواردة في الكتاب بالمصادر البصريّة، التي تتناول قضايا مماثلة، لكن من وجهات نظر مختلفة.

طرق مختلفة يمكن من خلالها دراسة الصور

يمكن فحص وتحليل الصور بعدة طرق: التحليل التفسيريّ، التحليل الانتقائيّ، التحليل الإيحائيّ والتحليل الكمّيّ. التحليل التفسيريّ عادة هو عبارة عن محاولة لفهم الخصائص البصريّة للصورة، مثل: التركيبة، الضوء والظلّ وغيرها، في محاولة لتتبّع نظرة المصوّر إلى ما يصوّره ("ما الذي أراد المصوّر التعبير عنه").

يركز التحليل الانتقائيّ على الموضوع أو المواضيع التي تظهر في الصور، والتي يمكن لدمجها معًا أن يدلّ على ظاهرة أو عمليّة ما. أمّا التحليل الإيحائي (تردّد صدى الصورة) فإنّه محاولة لطرح مختلف السياقات التي تثيرها الصورة لدى الباحث من عالم المعرفة والذاكرة الموجود لديه، مثل: السياقات التاريخيّة والجغرافيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والبشريّة، وما شابه ذلك.

على عكس الطرق التي ذكرناها حتّى الآن، وهي طرق نوعيّة (تستند إلى تقييم شخصيّ للصورة)، فإنّ التحليل الكمّيّ يفحص إحصائيًّا عددًا كبيرًا من الصور، التي تشكّل "عيّنة تمثيليّة". على سبيل المثال، يمكننا أن نفحص بأيّ نسبة من بين 1000 صورة في مجموعة من الصور، يظهر مصلّون أو مساكن.

سوف يركّز هذا الكتّيب على طرق البحث النوعيّة، وخاصة التحليل الانتقائيّ والإيحائي.

א. YBZ_0054_366 - سبيل باب السلسلة، في المدخل الغربيّ للحرم الشريف.

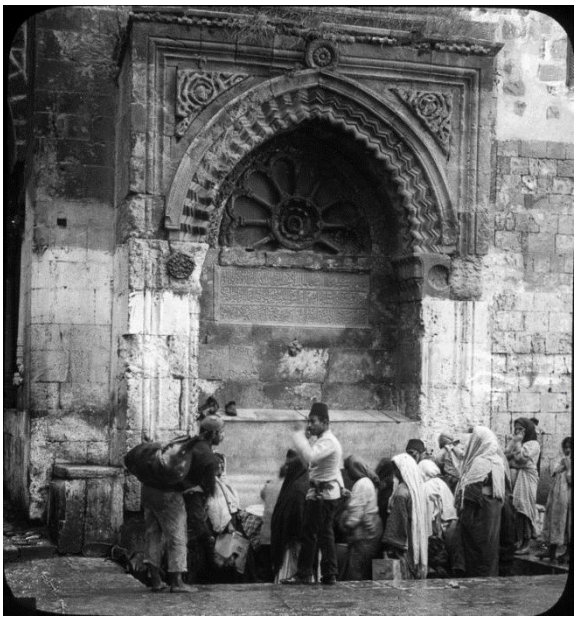

التقط هذه الصورة مصوّرو المستعمرة الأميركيّة في مطلع القرن الـ20.
وفقًا للرواية الإسلاميّة، إمدادات المياه للسكّان هي أحد واجبات الحاكم. استخدمت منشآت السبيل يوميًّا للوضوء والطهارة قبل القيام بالطقوس الدينيّة (في الحالة التي نحن بصددها الصلاة في الحرم الشريف – المنطقة المقدّسة على جبل الهيكل)، بالإضافة إلى ذلك شرب منها السكّان والحجّاج. بُني السبيل في باب السلسلة في عام 1537 في عهد السلطان العثمانيّ سليمان القانونيّ، باني أسوار المدينة. لقد دمج مركّبات معماريّة من فترات مختلفة: حوض شرب صغير - ناووس (تابوتٌ من الفترة الرومانية، روزيتا (زخرفة على شكل زهرة) وعقادة (عقد) من الفترة الصليبيّة ونقش تخليديّ من عهد سليمان يوضّح دور السبيل، زمن بنائه وهويّة بانيه.

[فكّروا: ماذا يمكننا أن نتعلّم عن تعدّد الثقافات وتعدّد الطبقات في القدس الذي يجسده التصميم المعماريّ الانتقائيّ لهذا السبيل؟

(إجابة ممكنة: لا يوجد بالضرورة تصميم معماريّ مسيحيّ فقط، أو وثنيّ أو إسلاميّ. في كثير من الأحيان تستخدم حضارة جديدة عناصر تبنّتها من سابقاتها، طالما أنّها لا تتعارض مع قيم الحضارة والدين الجديدَين – لا مانع من دمج معماريّ كهذا. لدينا هنا بعد اقتصادي أيضًا- بدلًا من إنتاج كلّ شيء من جديد - يستخدمون الموجود، وهذا ما يسمّى بـ"الاستخدام الثانوي"].

في هذه الصورة الفريدة في نوعها، يبرز بشكلٍ خاصّ السياق المدنيّ للسبيل. انتبهوا إلى أنّ في الصورة نساء بالأساس. بعضهن يحملن حاويات من القصدير.

[فكّروا: لأيّ الأغراض، حسب رأيكم، استخدمت هذه الحاويات وعلى ماذا يدلّ هذا؟]

قبل فترة الانتداب البريطانيّ لم تكن هناك شبكة إمدادات مياه عامّة في القدس. في سنوات القحط عانى السكّان من نقص حادّ في المياه. في بداية القرن العشرين، رمّم الأتراك خطّ إمداد المياه من برك سليمان إلى القدس، الذي كان يغذّي منشآت السبيل ويملأ الآبار في الحرم الشريف (جبل الهيكل).
في أواخر الصيف، عندما نفدت مياه الآبار الخاصة الموجودة في البيوت، أدّت الآبار العامّة دورًا هامًّا. إذ ضخّ السقّائون الماء منها، ليحمله عتّالون في قِرَب من الجلد ويبيعوه في أنحاء المدينة الجديدة.
في الصورة أمامكم، تظهر نسوة، يستمتعن بتزويدهنّ بالمياه العذبة والمجّانيّة من السبيل. كما يظهر أيضًا حمّال يحمل على ظهره قربة ماء.

[فكّروا: لماذا النساء فقط يحملن حاويات الماء؟ هل كان الحرص على توفير المياه للاستهلاك المنزليّ دور النساء فقط (على الرغم من القوّة الكبيرة المطلوبة لحمل حاوية ثقيلة مليئة بالماء؟ [فكّروا: هل صنعت حاويات الصفيح لاستخدامها في نقل وتخزين المياه، أم أنّه كان لها استخدام آخر في الأساس؟]

في بداية القرن العشرين بدأ تسويق حاويات قصدير فيها نفط في القدس، لأغراض الإنارة وتشغيل المحرّكات والمولّدات الكهربائيّة. استخدمت هذه الحاويات استخدامًا ثانويًّا لنقل المياه وتصفيح المساكن بألواح من الصفيح، وذلك لأنّ تكلفتها منخفضة.
[في وسط الصورة - رجل يعتمر طربوشًا ويلبس بدلة عصريّة مقارنة بغيره ممّن يظهرون في الصورة. هل يمكننا أن نعرف وظيفته؟]
إجابة ممكنة: قد يكون جنديًّا تركيًّا يحرس مدخل الحرم الشريف عند باب السلسلة، ويشرف على النظام العامّ في السبيل القريب منه (انتبهوا للسيف الذي يتدلّى من حزامه أو البندقيّة).

YBZ_0358_108 (مجموعة لشنر)- في الحرم الشريف (الأقصى، جبل الهيكل) ، 1907 تقريبًا.

التقط هذه الصورة سائح ألمانيّ زار القدس في عام 1907 تقريبًا. اليوم يبدو لنا مفهومًا ضمنًا أنّ السيّاحًا والزوّار بإمكانهم دخول الحرم الشريف (جبل الهيكل) والتقاط الصور، ولكن في أوائل القرن العشرين - لم يكن الأمر مفهومًا على الإطلاق، وخصوصًا عندما يتعلّق الأمر بسيّاح مسيحيّين. فقط قبل ذلك بـ50 عامًا، في منتصف القرن 19 سمحت السلطات العثمانيّة لأوّل مرّة للباحثين والدبلوماسيّين الأوروبّيّين بدخول المنطقة المقدّسة. أثارت هذه الخطوة معارضة في صفوف السكّان المحلّيّين. في وقت لاحق سُمح للمصوّرين المحترفين أيضًا بالعمل في المنطقة المقدّسة على جبل الهيكل، بتنسيق مسبّق مع السلطات. في نهاية القرن الـ19اخترعت كاميرا الهواة. وعليه، أمامنا مثال قديم وجميل على التصوير الفوتوغرافيّ في الحرم الشريف (جبل الهيكل) من قِبل مصوّرين هواة.

بماذا يختلف تصوير الهواة عن تصوير المحترفين؟ يُخصّص التصوير الفوتوغرافيّ المهنيّ عادة للاستعمال التجاريّ، وعليه فإنّ يتوجّه إلى قاسم مشترك واسع ويخلّد مناظر طبيعيّة ومواقع ومن زوايا مألوفة. أمّا تصوير الهواة فإنّه يكون لأغراض خاصّة، وفي كثير من الأحيان يخلد أيضًا مشاهد أخرى من زوايا غير عاديّة، مثل ما نرى في هذه الصورة.

نرى في الصورة رجل دين مسلم ومرافقه (؟) يسيران في الحرم الشريف باتّجاه الشرق. يستعين المرافق بعكّازة بسيطة من الخشب. حسب الظلّ القصير في الصورة - على ما يبدو التقطت الصورة في ساعات الظهر، ربّما في يوم صيفيّ.

تظهر خلف رأس رجل الدين أرضيّة للصلاة (مصطبة علاء الدين المصريّ) التي بُنيت في العصر المملوكيّ. يجلس فوقها عشرة أشخاص (نساء؟) ويتمتعون بظل شجرة البلوط المعمّرة الكبيرة. في الطرف الجنوبيّ- محراب.

تتضّح أهمّيّة المصاطب علي خلفيّة أنّه ليس على المسلم أن يصلّي في مكان مغلق فقط، ولكن عليه أن يشارك في صلاة الجماعة. ورد في القرآن صراحة أنّه يمكن الصلاة في أيّ مكان شرط التوجّه شطر المسجد الحرام [سورة البقرة، الآية 144]. الحرم الشريف كلّه هو منطقة مقدّسة، لذلك فإنّ كلّ مكان فيه مناسب للصلاة.

في الجانب الأيسر من الصورة – الرواق- صفّ من الأقواس الحجريّة، التي بُنيت في القرنين الـ13 والـ 14 (العصر المملوكيّ) وتهدف إلى حماية المتواجدين في الحرم من شمس الصيف الحارقة، ومن الرياح والأمطار في فصل الشتاء.

في أقصى اليمين في الصورة - مئذنة مسجد الغوانمة إحدى أربع مآذن يزدان بها الحرم الشريف (جبل الهيكل). هذه المئذنة مبنيّة على الطراز السوريّ المربّع. بني المسجد في الركن الشماليّ الغربيّ من الحرم في أواخر القرن الـ 13 (العصر المملوكيّ). سُمّي باسم الشيخ غانم بن علي الذي عيّنه صلاح الدين مسؤولًا عن المدرسة الصلاحيّة.

القبّة إلى اليمين من شجرة البلوط (المنجكيّة) والبناية الحجريّة عن يمين مئذنة مسجد الغوانمة (السعرديّة)، هما جزء من عدد كبير من المدارس الدينيّة التي بنيت في القدس في العصر المملوكيّ (القرن الـ 14). من المتعارف عليه أنّ البناية الحجريّة العالية (اليوم المدرسة العمريّة)، تقع حيث كانت في نهاية فترة الهيكل الثاني قلعة أنطونيا، التي كانت تحمي الركن الشماليّ الغربيّ من المجمّع، والتي فيها حكم المفوّض الروماني بونتيوس بيلات على يسوع المسيح بالإعدام صلبًا.

بين المئذنة وقبّة المنجكيّة، تظهر قبّة دير راهبات صهيون (افتتح في عام 1868) الذي بُني على أنقاض كنيسة بيزنطيّة وآثار من العهد الرومانيّ.

داخل الحرم يمكننا مشاهدة المزيد من البنايات والقباب الصغيرة، التي بنيت من قبل الحكام المسلمين ومسؤولين رفيعي المستوى كمبانٍ دينيّة تخلّد أسماءهم.

[فكّروا: ماذا يمكننا أن نتعلّم عن الدمج بين الدينيّ وغير الدينيّ في الحرم الشريف (جبل الهيكل)؟ هل تُستخدم ساحاته للعبادة فقط، أم أنّه تجري فيها نشاطات غير دينيّة أيضًا؟]

تُبيّن المصاطب المظللة والرواق أنّ الحرم الشريف (جبل الهيكل) كان ولا يزال يستخدم ليس للصلاة الفرديّة وصلاة الجماعة فقط، بل أيضًا لغيرها من الأنشطة التي لا تتعلّق بالضرورة بالطقوس الدينيّة، كونه أكبر حيّز مفتوح وغير مبنيّ في المدينة القديمة، وجزء كبير منه مسقوف أو مظلّل. لذلك أصبح الحرم بشكلٍ طبيعيّ مكانًا لتجمّع سكّان المدينة المسلمين والترفيه.

[فكّروا: ماذا يمكننا أن نتعلّم عن عمليّات البناء في منطقة الحرم الشريف؟ هل هي نتيجة لعمل سلطة واحدة، أم أنّها عمليّة مستمرّة، من خلالها أسهمت كلّ سلطة في صيانة البنايات القائمة وبناء أخرى جديدة؟]

بناءً على هذه الصورة، يبدو أنّ معظم المباني في هذه المنطقة، بُنيت في العصر الأيوبيّ-المملوكيّ. ومع ذلك، فإنّ هذا الافتراض يدلّ على التحيّز الموجود في الصور – إذ يمكنها أن تأخذ بعضًا من الواقع، وبذلك تسلّط الضوء تفاصيل معيّنة، وفي هذه الحالة، مبانٍ من فترات معيّنة. من الناحية العمليّة - البناء والتجديدات في الحيّز المقدّس هي عمليّة مستمرّة عبر التاريخ ولم تتوقّف أبدًا.

أ- YBZ.0013.017 – (مجموعة الإخوان أندرود)، نُصب يهوديّة في وادي النار (كدرون).

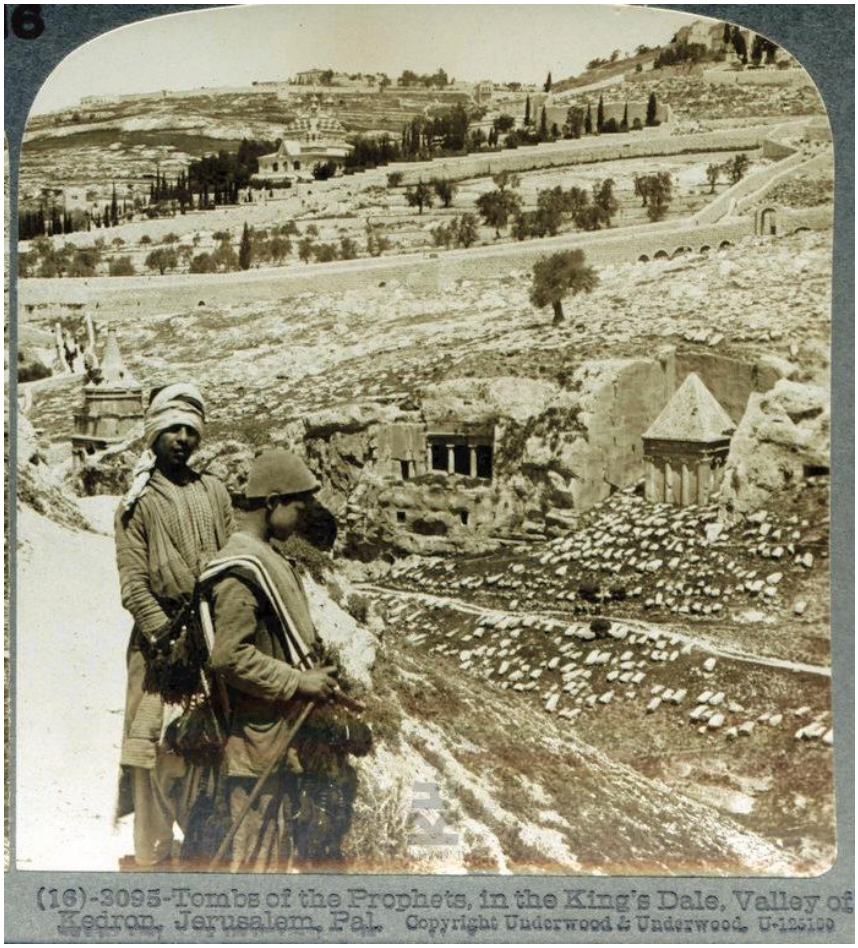

هذه الصورة، "صبيّان يشرفان على وادي النار (كدرون)" تعرض منظر وادي النار في أواخر القرن التاسع عشر. في وسط الصورة صبيّان باللباس التقليديّ، وفي الخلفية النصب اليهوديّة الثلاثة الشهيرة التي في الوادي - ضريح النبيّ زكريّا، في الوسط - ضريح أبناء الخنزير (إحدى العائلات الكهنوتيّة)، وفي اليسار – ضريح أفشلوم. النصب هي في الواقع أضرحة أثريّة من أواخر فترة الهيكل الثاني، حين كان الأثرياء وبعض الأسر يحرصون على تخليد أنفسهم من خلال أضرحة فخمة كهذه. في الجزء العلويّ من الصورة - كنيسة مريم المجدليّة على اسم مريم المجدليّة، التي بُنيت في أواخر القرن الـ 19.

[فكّروا: كيف يستفيد المصوّر من وضعه الأولاد العرب على خلفية القبور الضخمة؟]

وضع الأولاد بلباس شرقيّ - تقليديّ على خلفيّة الأضرحة الفخمة يخلق تناقضًا استشراقيًّا، كما كانت العادة في ذلك الوقت، حيث عُرض الحاضر (في هذه الحالة الأولاد)، على أنّه أقل شأنًا وبدائيًّا، مقارنة بالماضي المجيد. النصب الصغيرة أيضًا، التي تقع تحت المباني الفخمة تعكس حاضرًا أقلّ عراقة. وضع الأولاد في الصورة من شأنه أن يعكس الحضور اليوميّ للآثار القديمة في حياة سكّان المدينة أينما كانوا، بغضّ النظر عن الدين. وهكذا، يتعرّف سكّان المدينة إلى تعدّد الطبقات في المدينة وكونها مدينة ذات تاريخ طويل وعريق.

(النقاش أعلاه هو مثال على التحليل التفسيريّ)

يمكن للنقاش حول الصورة أن يتناول عدّة مواضيع في آن معًا:

نقاش حول عادات الدفن عند اليهود، المسيحيّين والمسلمين في القدس. في الصورة، النصب اليهوديّة ترتفع لتغطّي جزءًا من ضريح النبيّ زكريّا. هذه هي المقبرة اليهوديّة القديمة الواقعة في سفوح جبل الزيتون. كثافة النصب تدلّ على "فخامة" مكان الدفن.

عناوين مرافقة:

في أسفل الصورة- عنوانها. يمكننا أن نستدلّ منه على أن الصورة التُقطت لصالح شركة الإخوان أندرود. هذه الشركة متخصّصة في الصور المجسّمة (صورتان يمكن من خلال النظر إليهما بواسطة جهاز خاصّ اسمه الستريوغراف [جهاز يعرض صورتين متطابقتين تقريبًا الواحدة بجانب الأخرى] يعرض صورة ثلاثيّة الأبعاد (يشبه ما نراه في الأفلام الثلاثيّة الأبعاد). كانت هناك عادة يشتري فيها البعض سلسلة من الصور ويتأمّلونها وهم جالسين في صالون البيت. لذلك سمّيت هذه العادة بـ "رحلة عبر الكنبة".

انتهوا إلى العنوان بالإنجليزيّة - Tombs of the Prophets, in the King's Dale, Valley of Kidron, Jerusalem, Pal.

من خلال العنوان يمكن التعرّف إلى تغيّر التقاليد بالنسبة للمدفونين في النصب - أنبياء إسرائيل، وأشخاص رفيعي المستوى. وعلى أيّ حال، تبرز هنا الأهمّيّة المفرطة الممنوحة لنصوص قديمة (مثل الكتاب المقدّس)، في تحديد الأماكن والمواقع المقدّسة، لذلك يُعرّف القبر في يسار في الصورة على أنّه قبر أفشلوم ابن داود الذي بنى لنفسه نصبًا تذكاريًّا في "وادي الملك (صموئيل 2، 18. 18)، على الرغم من أنّ النصب هو من فترة الهيكل الثاني وليس من فترة الهيكل الأوّل! في هذا الوادي الخصيب من المتعارف عليه الافتراض أنّ حدائق الملك كانت ممتدّة هناك. (الملوك الثاني، الأصحاح 25، الآية 4؛ نحميا، الأصحاح 3، الآية 15).

د. زيارة قبور الأولياء/ المواقع المقدّسة – قبر الصدّيق شمعون

يقع القبر الذي بُدئ منذ العصور الوسطى بنسبته إلى الصدّيق شمعون، شخصيّة أسطوريّة لم يتمّ التعرّف إليها بشكلّ دقيق في الأبحاث، في بداية وادي الجوز، بالقرب من حيّ الشيخ جرّاح شمال القدس القديمة.

في عام 1641 روى القرّائيّ شموئيل بن داڤيد عن "كهف وفي داخله بئر ماء، وقال الحاخامات إنّه هناك دفن الصدّيق شمعون وزوجته، والبئر هو حوض الطهارة لزوجته". ربما لهذا السبب يسمّي العرب الكهف: "بئر اليهوديّة". كان القبر تابعًا لأحد العرب المحلّيّين الذي جبى رسوم دخول مقابل دخول الكهف والصلاة فيه، واستمرّ الوضع كذلك حتّى عام 1876، حيث اشترى المكان الحاخام الأكبر أڤراهام اشكنازي.

كان من عادة يهود القدس وما حولها زيارة هذا القبر في ذكرى وفاته في 29 من شهر تشري العبريّ وفي عيد لاغ بعومر، لأنّ الوصول إلى ضريح الحاخام شمعون بار يوحاي في ميرون كان صعبًا نظرًا للمسافة الطويلة.

بعد شراء الضريح بُني بجانبه حيّان يهوديّان سُمّيا شمعون هتسديك ونحلات شمعون، وسكنهما يهود، وبشكلّ خاصّ يهود من المهاجرين من اليمن ومن أصول شرقيّة.

رُمّم قبر شمعون الصدّيق وقبر "السنهدرين الصغيرة" المحاذي له، وتمّ وتنظيفها وتنظيمها من قبل المؤسّسات اليهوديّة المختلفة بدءًا من عام 1888 وفي القرن العشرين لاستيعاب مئات المصلين، بما في ذلك الفصل بين الرجال والنساء، فتح نوافذ لدخول الضوء والهواء النقيّ، مصابيح إضاءة وغيرها. [دوتان غورين "، وجاء مخلّص صهيون" الجهود اليهوديّ لشراء موطئ قدم في الأماكن المقدّسة في القدس وضواحيها في الفترة المتأخرة العثمانيّة (1840¬-1918)، أطروحة ماجستير، رمات غان، جامعة بار إيلان، 2004، ص 104]

[דותן גורן, "ובא לציון גואל": המאמצים היהודיים לקניית אחיזה במקומות הקדושים בירושלים וסביבותיה בשלהי התקופה העות'מאנית (1840-1918), עבודת מוסמך, רמת גן, בר-אילן, אלול תשס"ה, עמ' 104]

يصف عدد من المصادر اليهوديّة من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الاحتفال في قبر الحاخام شمعون الصدّيق. العديد من الصور الفوتوغرافيّة، وخصوصًا من العشرينات تظهر احتفالًا أقيم في المكان وتُبرز طابعه. تتلاءم هذه

الصور بشكلّ جيد مع العديد من الأوصاف التي تناولت تلك الفترة. سوف نجسّد هذا خلال بعض الفقرات التي تظهر جوانب مختلفة في هذا الحدث، والصور التي تجسّد ما يقال.

كتب أبراهام شموئيل هيرشبرغ (عاشق القدس وباحث في الحضارة اليهوديّة في العصور القديمة)، الذي حضر الاحتفال في عام 1899:

"في عيد لاغ بعومر يجتمع اليهود في القدس للصلاة في هذا القبر. الساحة المحيطة به تعجّ طوال النهار- من الصباح حتّى المساء- بالكثير من المحتفلين من كلّ المجتمعات والطوائف والأحزاب السياسية والطبقات. تُنصب خيام هناك لبيع جميع أنواع الطعام والشراب، ويجلس الناس جماعات جماعات مع أسرهم، رجالًا ونساءً، كبارًا وصغارًا، يأكلون ويشربون من كلّ ما جلبوه معهم أو ما يشترونه من الخيام. داخل الكهف، ضغط كبير وتدافع بسبب تزاحم الحشد على الدخول إلى المغارة لإشعال الشموع والصلاة. شمّاسون يقفون لجمع التبرّعات من الداخلين. الهواء خانق جدًّا لكثرة المحتشدين والشموع المضاءة لدرجة أنّني لم أستطع البقاء في المغارة، إلّا بضع لحظات.... [הירשברג, בארץ המזרח, עמ' 429-427.]

وعلى الرغم من أنّ احتفال شمعون الصدّيق كان حدثًا يهوديًا – إلّا أنّ أشخاصًا من كافّة المجموعات العرقية والطوائف والأديان في القدس شاركوا فيه (على سبيل المثال بريد اليوم 18 أيّار 1922). في العشرينات شارك الآلاف في الاحتفال، كما وصفه مراسل صحيفة "بريد اليوم".

جاءت الآلاف من العائلات اليهوديّة ومعظمها من السفارديم بكلّ أمتعتها وأبنائها وذرّيّاتها، لقضاء يوم احتفال الصدّيق شمعون بمتعة. جلسوا جماعات جماعات تحت الأشجار، وتلذّذوا بتناول الطعام والشراب وغنّوا ورقصوا رقصاتهم الشرقيّة. كما حضر من بين الجمهور العديد من جيراننا العرب، ومئات النساء المسلمات جلسن في مجموعات على التلال المحيطة تحت المظلّات على النحو الذي كنّ يفعلن في مقام النبيّ موسى "[زيارة إسلاميّة لقبر النبيّ موسى في صحراء يهودا، التي تُقام بالتوازي مع أيّام عيد الفصح في الربيع]. كانت التحرّك بين الجمهور في المكان صعبًا، عرش لبيع عصير الليمون، مطاعم مؤقّتة افتتحت بين الأشجار، وضمم الحمّص المشويّ أصبحت مأكلًا للجميع. [...] دخل اليهود المغارة للصلاة في قبر القدّيس، وجلس اليهود اليمنيّون مع أسرهم وغنّوا أغاني شبزي، أمّا الأطفال فكانوا يتأرجحون في الكثير من الأراجيح التي نُصبت هناك..." [דאר היום - 23 במאי 1927].

[أرشيف مدينة القدس، 1927 [JerCA22577]

من خلال هذه الصورة يمكننا التعرّف إلى المنشآت الخشبية- دوّامة الخيل، دولايب عملاقة، كانت منتشرة بين المحتفلين، في المساحة الكبيرة التي جرى فيها الاحتفال بكلّ الجمهور الذي شارك فيه. وفّرت أشجار الزيتون الظلّ من أشعة الشمس الحارقة.

تضيف الأوصاف المكتوبة معلومات حول الأصوات والروائح والأجواء المرحة والسعيدة التي تسود عادةً خلال الاحتفال.

يونا كوهن، الذي كان طفلًا في الحيّ في بداية فترة الانتداب البريطانيّ، كتب:

"نزلا درجتين أو ثلاث ووقفوا داخل المغارة، حيث ضريح الصدّيق. ظلال الأضواء تراقصت على الجدران. رائحة الشمع النفّاذة تملأ الجو. التصق الناس بجدران النصب وشفاههم تردّد الأدعية والصلوات. صوت بكاء النساء اختلط بصوت صلاة الرجال. نقلوا أيديهم من الجدار إلى أفواههم... وهم يباركون ويردّدون التمنّيات لأنفسهم ولأسرهم بأن يغفر الله لهم ويمنحهم الصحّة والثروة والسعادة". [יונה כהן, חכם גרשון מנחלת ציון, ירושלים, ראובן מס, 1968, עמ' 36

تعرض الصورة التالية ما يحدث داخل الكهف في منطقة صلاة النساء:

[الأرشيف الصهيونيّ، 1927, CZA-PHKH-1299209]

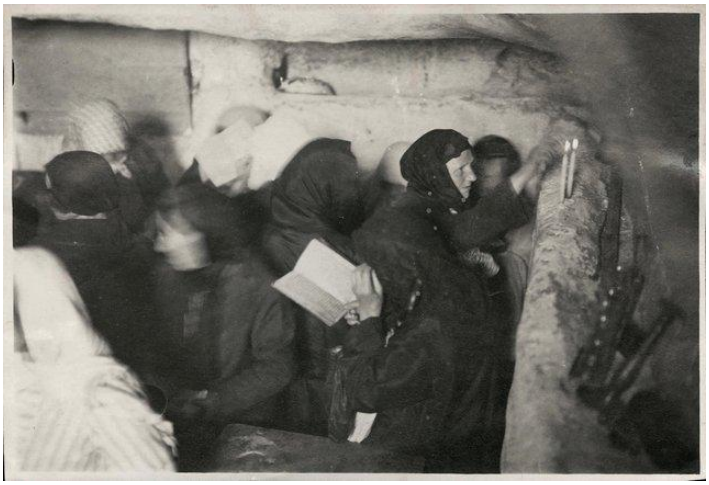

[فكّروا: ماذا تفعل النساء داخل مغارة الضريح؟]

تصلّي النساء ويشعلن الشموع.

[فكّروا: ما الذي يميّز طقوس النساء اليهوديّات مقارنة بطقوس الرجال في المكان المقدّس؟]

إجابة ممكنة: مقارنة بالرجال اليهود، الذين تتوفّر لهم فرصة الاقتراب من القداسة يوميًّا خلال الصلاة في الكنيس، اكتفت النساء بالصلاة في سدّة خاصّة. الأمر مختلف في قبور الأولياء وفي حائط المبكى. هنا بإمكانهنّ الاقتراب والوصول إلى القداسة، ليصلّين ويتمنّين لهنّ ولأسرهنّ. ولعل هذه الحقيقة تفسّر العدد الكثير من النساء اللواتي يصلّين في مغارة الضريح.

على الرغم من أنّنا لا نستطيع رؤية الضريح، إلا أنّه بالفعل يمكن أن نقول إنّ هذه مغارة. يبدو أيضًا أنّ النساء يركّزن في الطقوس الدينيّة. كما يبدو الاكتظاظ داخل المغارة.

ما الذي يضيفه النصّ الذي كتبه يونا كوهن والصورة الواحد إلى الآخر.

[وصف المشاعر والأفكار غير البصريّة - رائحة الشمع، على سبيل المثال، مضامين أدعية المصلّين].

سؤال آخر هو من أيّ موقع التقط المصوّر الصورة؟ من القسم المخصّص للنساء، أم من وراء الحاجز، من القسم المخصّص للرجال؟

يدلّ الكثير من الصور والنصوص على الاحتفال والعادات التي تُمارس في كرم الزيتون بالقرب من المغارة. على سبيل المثال، قال يونا كوهن، وهو من سكّان حيّ نحلات شمعون القريب من المغارة:

" لا يعرف الجيران العرب ما هي طبيعة هذا العيد الذي يسمّى لاغ بعومر، لذلك أطلقوا عليه بعبثيّة اسم "عيد اليهود". ولأنّهم رأوا اليهود يتوافدون إلى هناك، ومعهم الزيت للإنارة أو الشموع لإشعالها على قبر الصدّيق، أحضروا هم أيضًا الزيت والشموع. قضوا هناك نهارًا كاملًا في الصلاة والأكل واللهو... جلب الآباء أطفالهم الذين تتراوح أعمارهم بين عامين وثلاثة أعوام، للحلاقة الأولى... كان القادمون مزوّدين بكتاب صلاة أو بسفر المزامير بحجم صغير، ببابور كبير وقلّاية لقلي البيض، البصل والباذنجان، وكانوا محمّلين بالبطانيات والحُصر، وزجاجات النبيذ والليكر". [יונה כהן, חכם גרשון מנחלת שמעון, עמ' 36-35]

[אצ"מ, CZA-PHO-1353970, CZA-PHO-1353971]

يمكننا أن نستدلّ من خلال هذه الصور على الجوّ الاحتفاليّ والحرّ في المكان – نزهة يجلس الناس فيها على الأرض يفتحون زجاجات المشروبات الروحيّة، يطبخون في المكان أو يأكلون طعامًا جاهزًا. في حين أن الصورة مع زجاجات المشروبات مقصود للتصوير، فإنّ صورة العائلة تجلس على الأرض منشغلة بإعداد الطعام، أكثر طبيعيّة. يمكننا أن نلاحظ أيضًا أنّ العائلات حاضرة بأكملها مع النساء والأطفال.

[فكّروا: هل من الممكن تحديد الأصل العرقيّ والانتماء الديني للأشخاص في هذه الصور؟]

من الصعب أحيانًا تحديد ما إذا كان الناس في الصورة هم من العرب أم من اليهود من أصل شرق أوسطيّ. لكنّ هذا أيضًا دليل على أصول ثقافيّة مشتركة وعلى القدرة على الاحتفال المشترك بأعياد طوائف أو ديانات أخرى.

هـ. علاقات الجوار بين العرب واليهود في القدس. حيّ نحلات شمعون وحيّ الشيخ جرّاح.

تمّ إنشاء حيّي نحلات شمعون وشمعون هتسديك اليهوديّين وحيّ الشيخ جرّاح العربيّ في نهاية القرن التاسع عشر، في الوقت الذي كان العثمانيّون يحكمون البلاد. لكن في حين كان الحيّ العربيّ قويًّا اقتصاديًّا ويتميّز بمنازله الكبيرة والفخمة، سكن في الحيّين اليهوديّين القريبين أناس فقيري الحال من الطبقتين الوسطى والدنيا. على الرغم من ذلك نشأت علاقات متبادلة بين هذه الأحياء، ويرجع ذلك جزئيًّا إلى الخلفيّات الثقافيّة واللغويّة المشتركة، إذ إنّ معظم السكّان اليهود هم من اليهود القادمين من الدول الإسلاميّة والدول العربيّة.

روى بعض سكّان حيّ نحلات شمعون في وقت لاحق ذكرياتهم، والتي يمكننا أن نتعرّف من خلالها إلى العلاقات بين السكّان:

وصف حاييم طويلي الذي نشأ في حيّ شمعون هتسديك في بداية القرن العشرين طفولته قائلًا: "... فصل بين الحيّين ملعب كبير، كان يعجّ دائمًا بالأطفال الذين يلعبون ويتشاجرون. الملعب فصل بين الحيّين وقرّبهما من بعضهما في الوقت نفسه،

فالأطفال العرب واليهود كانوا يتجمّعون في الملعب الكبير، وفرق كرة القدم التي تشكّلت كانت تضمّ اليهود والعرب على حدّ سواء". [יוסף בן חיים טווילי, השושנה והחוחים, ירושלים, 1997, עמ' 42]

صورة من عهد الانتداب، يظهر فيها الحيّان جنبًا إلى جنب. يمكننا التعرّف من خلالها إلى مميّزاتهما الطبيعيّة والقرب (البعد) بينهما.

[نحلات شمعون، 1938، مجموعة دغاني. أرشيف مدينة القدس، JerCA15373a]

في اليمين نرى نحلات شمعون، وفي اليسار نرى الشيخ جرّاح.

[سؤال: هل يمكنكم أن تلاحظوا الفروق في مميّزات كلّ من الحيّين؟]

[إجابة ممكنة: في نحلات شمعون - البناء كثيف، ومتراصّ، مساكن للفقراء في أسفل الوادي. في الشيخ جرّاح - منازل قليلة كبيرة، أكثر عصريّة في طرازها. عند تكبير الصورة نرى في نحلات شمعون دمجًا لجدران مصفّحة بالقصدير الرخيص أيضًا. أمّا في الشيخ الجرّاح، فالبيوت مصفّحة بالحجارة المقدسيّة المنحوتة بإزميل بشكلّ جميل. نحلات شمعون في أسفل الوادي/ وادي الجوز وعرضة للفيضانات والغمر بالمياه. الشيخ جرّاح – في أعلى التلّ – يتمتّع بقدر أكبر من الهواء، تُطلّ منازله على منظر طبيعيّ جميل وليست عُرضة للفيضانات. تعكس هذه الصورة كيفيّة أنّ الفرق في الوضع الاجتماعي والاقتصاديّ في يبرز في الحيّز الجغرافي. في هذه الحالة الأمر يتعلّق أيضًا بالفرق بين أبناء الطوائف المختلفة].

كانت هناك علاقات اجتماعيّة، اقتصاديّة ثقافيّة بين سكّان الأحياء، على صعيد يوميّ تقريبًا، وفي الأعياد كانت هناك لفتات رمزيّة أيضًا.

وصف يونا كوهن، الذي نشأ في نحلات شمعون مستوى معرفة جاره الراعي العربيّ عوني من الشيخ جرّاح بدورة الأعياد اليهوديّة وعادات كلّ عيد.

"... وكان الراعي العربيّ يعرف بشكلّ جيد اليهود ويعرف جميع الفرائض والعادات اليهوديّة. فكان في عيد العرش يجلب فروع الأشجار ويبيعها ليبنوا بها العرَش. قبل حلول عيد المساخر كان يجمع الكوفيّات والعقالات، والقنابيز وشالات النساء ويقرضها للأطفال في نحلات شمعون ليتنكّروا بها، وقبل عيد الفصح كان يجمع الأواني من ربّات البيوت اليهوديّات ويعطيها لزملائه العرب

المختصّين في تبييض الأواني، استعدادًا للعيد. وفي المقابل، لم يطلب إلّا القليل من المصّة اللذيذة المذاق... وفي نهاية أيلول العبريّ، كان يبادر إلى تهنئة جيرانه اليهود بتحيّة سنة جديدة سعيدة "... [כהן, חכם גרשון, עמ' 9-8]

وصف حاييم طويلي هو الآخر منظومة العلاقات الحميميّة، التي تضمّنت زيارات متبادلة:

"وفي تلك الأيام حلّ عيد الفصح، وذهبنا جميعًا إلى حيّ الشيخ جرّاح المجاور، لنعطي العرب من خبز المصّة الطازج. كانت البيوت هناك كبيرة كالقصور... ذهبنا إلى بيت أصغر، ولكنّه لا يزال أكبر بعدّة مرّات من البيوت المزدحمة في شمعون هتسديك. قدّم أصحاب البيت للكبار القهوة، ولنا، نحن الأطفال، قدّموا الحلويات التي كان الكثير منها معروف عندنا أيضًا". [טויילי, עמ' 53-54]

"وفي اليوم التالي، اليوم الأوّل من عيد الفصح، زارنا العرب كعادتهم في كلّ عيد فصح، وقدّمت لهم الجدّة ستي خبز المصّة والفطير الذي صنع لهم خصّيصًا من دقيق المصّة. أخذه العرب معهم بعض خبز المصة إلى بيوتهم، ليستمتعوا بالمذاق الخاصّ لهذا المأكل اليهوديّ. [טוויילי, עמ' 57]

و. كنيسة القيامة: العلاقات بين الطوائف المسيحيّة

تضمّ كنيسة القيامة الواقعة في قلب الحيّ المسيحيّ في البلدة القديمة، وفقًا للتقاليد المسيحيّة، قبر يسوع (الذي قام منه)، والتلّ الذي صُلب عليه - الجلجلة. الكنيسة، التي بنيت لأوّل مرّة في العصر البيزنطيّ (القرن الرابع للميلاد)، دُمّرت في القرن الـ 11م. وأعيد بناؤها على طراز جديد في الفترة الصليبيّة (القرن الـ 12 م). طرأت على المبنى الحاليّ أيضًا الكثير من التغيّرات، ولكنّه يعود في معظمه إلى الفترة الصليبيّة. على مرّ السنين، ارتبطت بالمكان الكثير من التقاليد والروايات الدينيّة المقدّسة، مثل: عثور هيلانا- أم الإمبراطور الرومانيّ قسطنطين الذي جعل المسيحيّة دينًا معترفًا به- على الصليب في كهف تحت الكنيسة، وتحديد مكان دفن آدم عليه السلام عند سفح الجلجثة.

تناقض بعض الروايات روايات أخرى مشابهة في الأديان الأخرى في القدس. على سبيل المثال، تحديد مركز العالم في الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، إلى الشرق من الأديكولا وهي المبنى الدائري، المحيط بالكهف الذي دُفن فيه يسوع المسيح، يتناقض مع نهج اليهود والمسلمين الذي ينصّ على أن مركز العالم هو الصخرة الموجودة في وسط قبّة الصخرة. كما أنّ الرواية عن ذبح إسحاق انتقلت من جبل الهيكل/ الحرم الشريف إلى كنيسة القيامة.

ومع ذلك، يبدو أنّ الواقع على الأرض، حيث سيطرت إمبراطوريّات إسلاميّة على القدس حوالي 1400 سنة (باستثناء الفترة الصليبيّة)، أجبر السكّان المسيحيّين على التكيّف مع الحكم الإسلاميّ والاستفادة منه بأكبر قدر ممكن. أدّى ذلك أيضًا إلى التعاون واللفتات المتبادلة، والتي كانت في بعض الأحيان حلًّا مناسبًا للخلافات الداخليّة بين الطوائف المسيحيّة في القدس.

تجسّد الصورة التالية هذه الظاهرة:

مكتبة الكونغرس، مجموعة ماطسون، 05442، بين 1900 و1920

يظهر في الصورة إغلاق الحارس العربيّ المسلم لأبواب كنيسة القيامة، في حين ينظر القسّ اليونانيّ الأرثوذكسيّ من النافذة.

[سؤال: ما هي الصور التي تتبادر إلى أذهانكم بالنسبة للوضع المعروض في هذه الصورة؟]

[الإجابة: لدينا هنا صورة تعرض علاقات مركّبة بين المجموعات السكّانية، وانعكاسًا لتقليد طويل الأمد ذي أهمّيّة طقسيّة رمزيّة. يحمل العربيّ المسلم المفاتيح التي ترمز إلى التملّك. رجل الدين المسيحيّ يُطلّ من فتحة منخفضة. في وقوف الحارس على سلم ليقفل الأبواب هناك انعكاس لطقوس ذات مغزى. لا يبدو جنديًّا أو سجّانًا، بل إنّه مواطن ذو ملامح غربيّة، ما عدا الطربوش. يُظهر الزيّ الغربيّ نوع من إغلاق حلقة مفرَغة، من ناحية، يسيطر الحارس المسلم على كنيسة القيامة ويتحكّم بحرّيّة وصول المسيحيّين إليها وإلى النشاطات التي تجري فيها، ومن ناحية أخرى، يدلّ الزيّ الغربيّ على التأثير الغربي القوي على كلّ ما حدث في القدس خاصّة، والإمبراطوريّة العثمانيّة عامّة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، التأثير الذي أدّى أيضًا إلى اعتماد الزيّ الغربيّ بدلًا من الزيّ الشرقيّ السابق.

على الرغم ممّا سبق، إلّا أنّ الوضع الفعليّ هو أكثر تعقيدًا. تُذكر السيطرة الإسلاميّة على مفاتيح كنيسة القيامة في مصادر من العصور الوسطى. نظرًا لقدسيّة كنيسة القيامة في العالم المسيحيّ، هناك أهمّيّة خاصّة لحقوق ملكيّة الطوائف المسيحيّة في كلّ موقع أو أثر تم العثور عليه في الكنيسة. حدّدت القوّة النسبيّة للطوائف على مرّ السنين، نطاق حقوقها في الكنيسة، وهذه الحقوق تحفظ بحرص شديد، وأيّ خرق لها أدّى إلى صراعات مريرة وطويلة.

تفاديًا لهذه الصراعات، أصدرت السلطات العثمانيّة في عام 1852 تعليمات للحفاظ على الوضع القائم بين الطوائف المسيحيّة في الكنيسة. ومن ضمن ما حدّدته كان مَن هو صاحب الحقّ في حيازة مفاتيح الكنيسة وفتح أبوابها.

حاليًا تمتلك الحقّ في فتح وإغلاق أبواب الكنيسة اثنتان من الأسر المسلمة - عائلة جودة (بيدها المفاتيح) وعائلة نسيبة (تفتح الأبواب). ولكن لصعود السلّم وفتح الباب، عليهم الحصول على السلّم المحفوظ داخل الكنيسة، من ممثّل البطريركيّة الأرثوذكسيّة اليونانيّة في الكنيسة، والذي بيده صلاحيّة فتح الباب الصغير وإخراج السلّم.

ولذلك فإنّ هذا الحقّ هو رمزيّ إلى حدّ كبير، ولكن الشرف والمكانة، فضلًا عن حقيقة أن يتمّ الحفاظ على هذا التقليد الطويل الأمد، الذي يمنع النزاعات والصراعات التي لا داعي لها، يُبقي الحقّ في فتح أبواب الكنيسة والاحتفاظ بمفاتيحها، ذا أهمّيّة في العلاقات بين المسلمين والمسيحيّين في القدس.

انظروا: עמי מיטב, 'כנסיית הקבר – המפתח הקדוש', מסע אחר (כניסה 7.1.2017)

طقوس غسل القدمين، الباحة الجنوبيّة لكنيسة القيامة، قبل 1914 (مكتبة الكونغرس، مجموعة ماطسون).

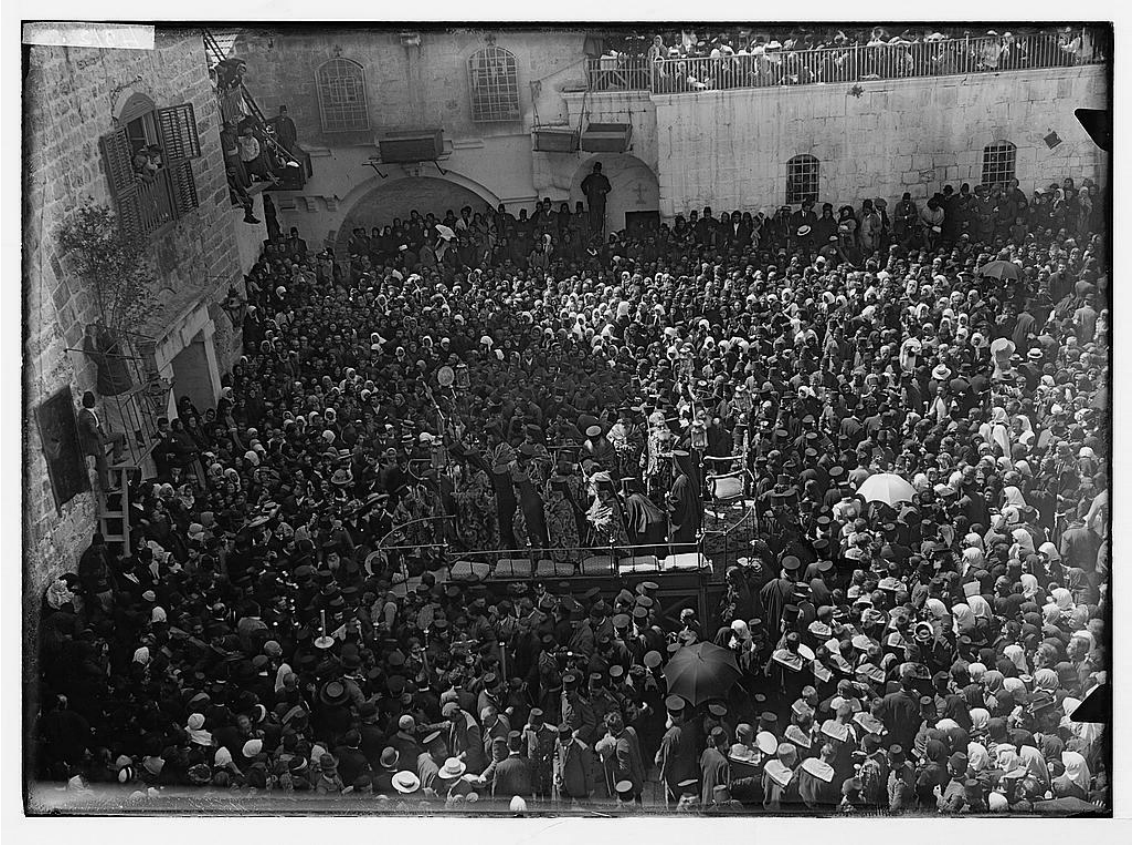

في هذه الصورة (6414) والصورة التالية (6409) الكثير ممّا يمكن أن نتعلّمه عن الطقوس الدينيّة والتقاليد المحيطة بها لدى الطوائف المسيحيّة في القدس، ودور الحكم الإسلاميّ خلال هذه الطقوس.

بداية السؤال المطروح هو ما هو طقس غسل القدمين؟

هذا الطقس هو أحد طقوس الذروة في أسبوع الآلام، قبل عيد الفصح، وهو مكرّس لاستعادة أحداث الأسبوع الأخير في حياة يسوع. في اليوم الخامس، يوم العشاء الأخير، جرى طقس غسل القدمين، لأنّه وفق المعتقدات خلال هذا العشاء غسَل يسوع قدمي رسله: "ثمّ صبّ ماء في مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التي كان متزرا بها" (انجيل يوحنّا، الأصحاح 13، الآية 5). لذلك، فإنّ رجل الدين الأرفع مستوًى يغسل رمزيًّا أقدام بعض المبتدئين في الطائفة. في بعض الأماكن من المعتاد غسل أقدام 12 شخصًا، بعدد الرسل الاثني عشر.

الطقس الظاهر في الصورة هو طقس أجرته البطريركيّة اليونانيّة الأرثوذكسيّة.

[فكّروا: أين أُجري الطقس، ولماذا؟]

كما هو واضح للعيان، لم يُجرَ هذا الطقس سرًّا، بل على الملأ، في باحة الدخول إلى كنيسة القيامة في الحيّ المسيحيّ. ليتسنّى للجميع مشاهدته، بُنيت منصّة خشبيّة يجلس فوقها اثنا عشر رجل دين يونانيّ (أساقفة ومطارنة) والبطريرك نفسه.
يمكننا أن نستدلّ على أهمّيّة الطقس من حقيقة أنّ ساحة كبيرة مليئة عن آخرها، كما أنّ أسطح المنازل، الشرفات، الأدراج والسلالم المحيطة بها تعجّ بالناس (وبعضهم يخاطرون بحياتهم).
[سؤال: يرجى الانتباه للمنشآت المستطيلة الغامقة اللون، التي تتدلّى من الجدران والشرفات المواجهة للمصوّر، هل تستطيعون أن تتخيّلوا ما الغرض منها؟]

[الإجابة: إنّها مخصّصة للمصوّرين الذين وثّقوا هذا الحدث. وهذا واضح في صور أخرى من تلك الفترة]
هل يمكنكم وصف الحضور في الطقس؟ استعينوا بالصورة التالية أيضًا.

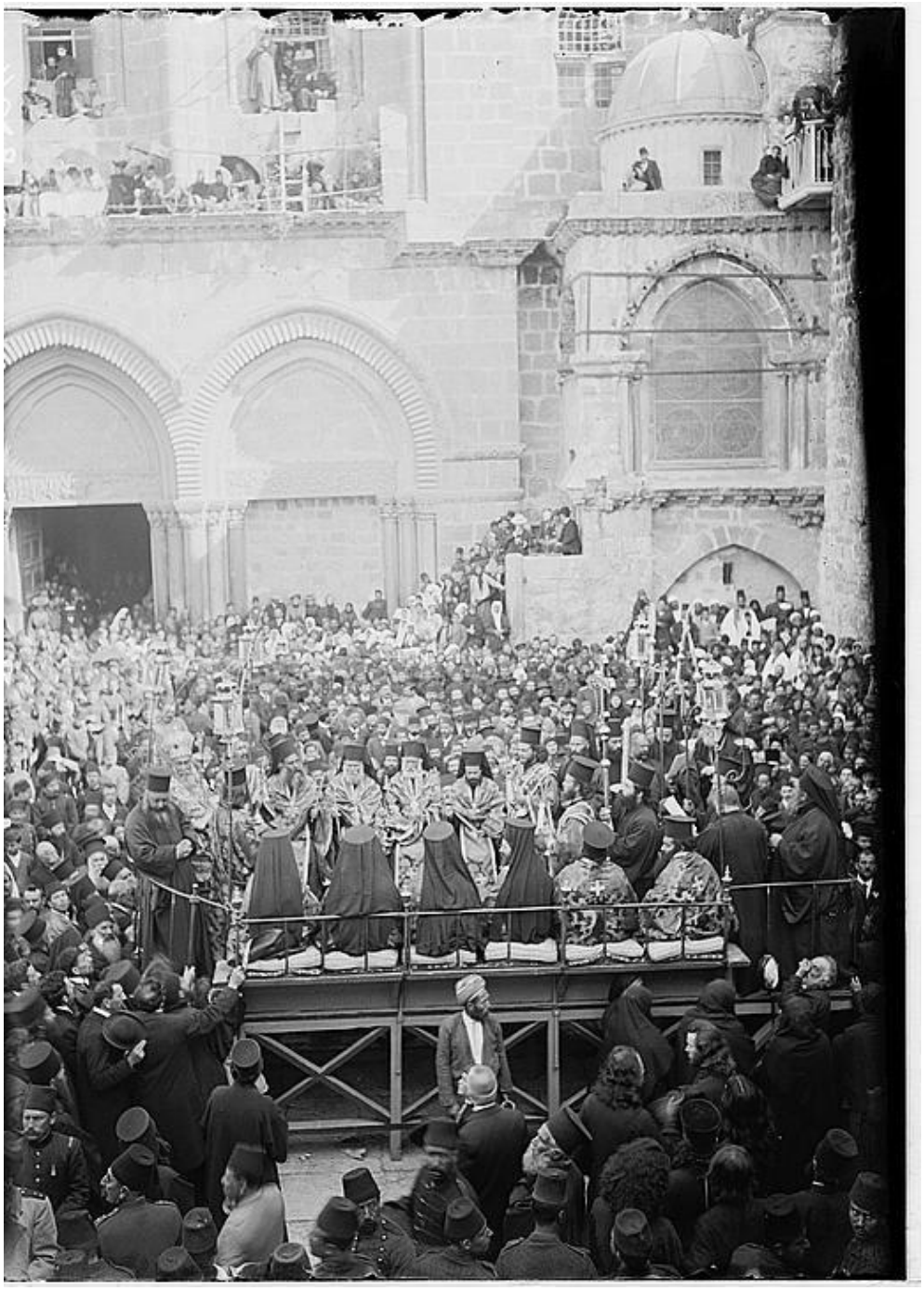

يمكننا أن نشاهد على المنصّة رجال الدين الأرثوذكس اليونانيّين، يلبسون العباءات المطرّزة ويعتمرون القبّعات التي تميز هذه الطائفة الدينيّة. على الجانب الأيسر من المنصّة، مع قبّعة كاهن كبير مرصّعة بالأحجار الكريمة، يقف البطريرك، وهو على ما يبدو دميانوس الأوّل (الذي شغل هذا المنصب بين السنوات 1897-1931).

وحضر الحدث احجّاج من جميع أنحاء العالم المسيحيّ، وخاصة من روسيا وأوروبا الشرقية، والتي تهيمن فيها المسيحيّة الشرقية. تبرز النساء بين الحجّاج بالمناديل الداكنة أو البيضاء التب تغطّي رؤوسهنّ. يمكننا أن نرى بين الحضور الكثير من الكهنة الأرثوذكس (حسب قبّعاتهم الاسطوانيّة الشكل، والجزء العلويّ منها (كطبق مسطّح) يبرز من الجانبيّن، ولكن يمكنكم أيضًا رؤية أشخاص يلبسون ملابس غربيّة أكثر مع قبّعات مختلفة (قبّعة هامبورغ، بارت، القبّعات المصنوعة من القشّ، وما إلى ذلك)، لاحظوا كثرة المظلّات للوقاية من حرّ الشمس.

على الشرفة المقابلة للمصوّر (في القسم البعيد من الصورة) يمكنكم أن تلاحظوا وجود نساء يرتدين الأوروبّي أيضًا. ربّما هم سيّاح وسائحات، أو وجهاء، لا يليق بهم التزاحم مع الحشد في الباحة.

على الجانب الأيمن من الصورة يمكنكم رؤية طابور من براعم الكهنوت، على ما يبدو من الكاثوليك يمرون عبر الحشد (شريط من القماش الأبيض يغطّي الجزء العلويّ من ظهورهم، فوق العباءة سوداء).

[سؤال: هل يمكنكم ملاحظة وجود أشخاص غير مسيحيّين أيضًا؟]

[الإجابة: ضمن الجمهور، لا سيّما على أطراف الباحة، يمكننا رؤية أشخاص يعتمرون العمائم والقنابيز (ثوب مخطّط ميز العرب المحلّيّين في القدس). بالإضافة إلى ذلك، يحيط بالمنصّة جنود أتراك. الجميع يرتدي حلة مع أزرار القمصان، ولبعضهم أحزمة كتف مع الرتب ويعتمرون الطرابيش. هؤلاء يمثلون السلطة التركية ويحافظون على النظام العامّ (خاصّة من أعمال الشغب التي اندلعت في بعض الأحيان بين المؤمنين من الطوائف المسيحيّة المختلفة).]

ينعكس دورهم الرمزي والعملي في الحفاظ على النظام العامّ أيضًا في الصورة - [YBZ.0013.023]

موكب بطريرك الكنيسة اليونانيّة الأرثوذكسيّة في عيد الفصح باتّجاه كنيسة القيامة، من عام 1900 (الإخوة أندروود).

يظهر في الصورة موكب من رجال الدين الروم الأرثوذكس، بما في ذلك البطريرك، يسيرون في باحة المدخل الجنوبي باتّجاه إلى كنيسة القيامة. يرافقهم على كلا الجانبيّن حرّاس أتراك مسلّحون. بعضهم يسيرون معهم، في حين شكلّ الآخرون حاجزًا بين رجال الدين والجمهور.

ز. إجمال

كوّنت الصور والشروح والتفسيرات المذكورة في هذه الكرّاسة ما يشبه القصة التي تتراوح بين الجماعات الدينيّة، والمناظر الطبيعيّة المتفاوتة، والطقوس والتقاليد: في البداية فحصنا التقاليد والمشهد الإسلاميّ المقدّس في جبل الهيكل / الحرم الشريف. بعد ذلك بحثنا في مشهد مقابر وأضرحة الأولياء اليهود في حول المدينة القديمة، وعلاقات الجوار بين أحياء اليهود والمسلمين، واختتمنا بمشهد الحيّ المسيحيّ والعلاقات المتبادلة بين الطوائف المسيحيّة والحكم الإسلاميّ.

يتيح لنا هذا المسار الجغرافيّ والدينيّ الوقوف على تعقيدات الحيّاة والتفاعل بين الطوائف والأديان في القدس. يُظهر التصوير واقعًا معيّنًا. لكن، على الصعيد العمليّ، الواقع هو أكثر تعقيدًا بكثير. لا شيء في القدس مفهومًا ضمنًا، بل يجب البحث والدراسة باستفاضة، لاكتشاف ما يختبئ تحت السطح، أو خلف الصورة.

هذا هو الوضع في العمارة الإسلاميّة، إذ أدت 1400 سنة من الحكم الإسلامي إلى هيمنة المسلمين في المشهد الحضري: لكن، في الواقع، تأثّرت أوائل العمارة الإسلاميّة بالعمارة والفنّ البيزنطيّين بقدر كبير، فدمجت موادّ ومركّبات منهما (على سبيل الروزيتا في سبيل سليمان).

يتجلّى الواقع المعقد أيضًا في الدمج بين المقدّس وغير المقدّس جبل الهيكل / الحرم الشريف، وكنيسة القيامة وقبر الصدّيق شمعون، حيث زوايا الراحة، والاسترخاء من صخب المدينة، النزهات والوجبات الدسمة، التي أصبحت جزءًا الأماكن المقدّسة، غاية الحجّاج من القدس والعالم.

يكشف التصوير لنا واقعًا أثار تساؤلات جدّيّة حول علاقات القوة بين مختلف فئات المجتمع. على سبيل المثال، دراسة علاقات القوة بين الجنسين، وتساءلنا لماذا أجبرت النساء على حمل حاويات المياه الثقيلة، أو قيّد وصولهن إلى أماكن معينة للعبادة. لقد رأينا كيف ترك الحكم التركي الإسلامي بصماته في الحيّز العام أيضًا، حتٍ في احتفالات وطقوس الديانات الأخرى.

وفي المقابل يعكس التصوير تغلغل الثقافة الغربيّة إلى الشرق في القرن الـ 19. يجسّد الواقع الذي يعرضه التصوير هذا الأمر في اللباس، الهندسة المعماريّة، والأدوات اليومية التي استخدمها سكّان القدس، وحتّى في التجسيد الاستشراقيّ للسكّان المحلّيّين، الذين كانوا يبدون أحيانًا حقيرين أو غرباء بالنسبة لأمجاد الماضي وإنجازات الحاضر في الغرب.